

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين
قسم: الكتاب والسنة

جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية
-قسنطينة-

رقم التسجيل /
الرقم التسلسلي /

الحوار حقيقته وأثره التربويّ
في ضوء السنة النبوية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف الدكتور:
حسان موهوبي

إعداد الطالبة:
رزيقة قريوي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الاصلية	الصفة
أ.د. نصر سليمان	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د. حسان موهوبي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
د. حميد قوفي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د. نور الدين سكحال	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية : 1434-1435 هـ / 2013-2014 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

اعترافا بالنعمة والجميل يتوجّب عليّ أن أشكر أولًا الله عزوجل أن أعاني على إتمام هذا البحث ، كما يتوجب عليّ أيضا أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير والعرفان إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل وعلى رأس ذلك:

أستاذي الفاضل الدكتور: حسّان موهوبي المشرف على إعداد هذا البحث والذي كان لي الناصح الأمين والذي صبر على قراءة هذا البحث وعلى تصحيح أخطائه المختلفة فجزاه الله عني خير الجزاء.

اللجنة الموقرة : التي تحمّلت عناء قراءة هذه الرسالة ، وبذلت جهدا في تصحيح وتصويب ما كان فيها من أخطاء.

أساتذتي المحترمون: صالح عومار الذي هو الآخر تكفل بقراءة جزء كبير من هذا البحث مع كثرة انشغالاته واهتماماته ، فأحسن إليّ بنصائحه القيّمة وتوجيهاته الدّقيقة.

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد قوفي ، الذي أفادني أيضا بتوجيهاته القيّمة في اختيار موضوع هذا البحث.

الأستاذة الدكتورة: حكيمة حفيظي والأستاذة الدكتورة: فتيحة بوشعالة هذه الأخيرة التي شجّعني على إتمام هذا البحث فكانت بجانبني في بداية هذا المشروع واختيار موضوعه القيّم.

عمّال المكتبة وعلى رأسهم الأخت: نجاة.

إلى من تحمّلوا عناء طبع هذه الرسالة: سميرة، نجاة، فيروز، كلثوم، وردة.

وفي الأخير لا أنسى أن اشكر أسرتي التي تحمّلتني طيلة إعداد هذا البحث وتحمّلت تقصيري اتجاههم وعلى رأسهم أختي الصغيرة: أحلام.

المقدمة

1- توطئة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أنعم علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا ؛ فكان نبيا للحق ورحمة للعالمين ، وخير ما يوصف به أنه كان قرآنا يمشي على الأرض محسدا لأحكام ربه وأوامره ، فكان أن جسّد قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ حتى وصفه القرآن الكريم بأحسن وصف في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤

هذا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع كبيرا ولا صغيرا رجلا أو امرأة مسلما أم كافرا إلّا وسلك معه الحوار في سبيل الإقناع والتدرّج معه في الدعوة ليصل هؤلاء جميعا إلى برّ الأمان ، إذ لم تكن له في ذلك مصلحة شخصية يرجوها من هؤلاء ، إنّما كان همه أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه ، وهكذا لينعموا بعدها بالسعادة الأبدية في الآخرة.

كما أنه لم تمنعه صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله تعالى بأن يفتح باب الحوار والحديث مع زوجاته ونسائه ونساء المسلمين ليعلمهم أمور دينهم ، ولم يمنعه أذى المشركين أن يمنحهم فرصة الحوار معه ، فكان أن قال لعتبة بن ربيعة: "قل يا أبا الوليد أسمع" ، يلتقي بصبيّ قد فقد عصفوره فيسأله عنه "ما فعل النغير يا أبا عمير؟" ، تدعوه النسوة ليجعل لهنّ يوما يلتقين فيه معه فيفتح لهنّ المجال لتعلم أمور دينهنّ ، وإثارة روح السؤال لديهنّ ، يأتيه الأنصار ليعترضوا على قسمة الغنائم فيردّهم بعد أن وهّج في نفوسهم الإيمان وقد اخضلت لحاهم بالدموع ، يأتيه الشاب يستأذنه في الزّنا فيرجع بعد أن وضع يده الشريفة على صدره وحاوره بأن سكنت نفسه ورجع إلى رشده ، يزور شابا يهوديا عند موته فيحاوره ليقنعه بعد ذلك بالإسلام ، وهكذا ليموت الشاب على كلمة لا إله إلّا الله ، فيحمد ربه أن أنقذه الله به من النار...

بهذا الأسلوب النبويّ الرشيد استطاع النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يربي ذلك الجيل ليصبح بعدها أفضل جيل على مرّ العصور.

2- حدود البحث : تتجلى حدود هذا البحث في التّواحي التالية :

الحوار كأسلوب تربويّ في التّعامل مع الآخر ، وحقيقته المنهجية في ذلك مع الأثر التربويّ

والسلوك الشرعيّ ، وكلّ ذلك في ضوء نصوص السنّة الشريفة ، وباعتبار الهدي النبوي قدوة وأسوة حسنة .

3-أهميّة البحث : تكمن أهميّة هذا الموضوع في:

أ- محاولة جادّة لربط الواقع بالسنّة النبويّة .

ب - تسليط الضّوء على أسلوب من أساليب الدّعوة والتّربية ألا وهو الحوار ، هذا الأخير الذي لم نعد نلمسه لدى المسلمين في بيوتهم مع أهليهم ، أو خارج بيوتهم وذلك في إطار الدّعوة والتّربية.

ج - الوقوف على مبادئ ومعالم هادية في حياة المسلم ، من خلال لفت الأنظار إلى هدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في التّعامل مع غيره ، على اختلاف شرائحهم والتّحاور معهم وكيف انعكس ذلك.

4-أسباب اختيار الموضوع ودوافعه: هناك جملة من الأسباب دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع

منها:

أ - رغبتني الشّديدة في تقديم دراسة تربويّة حول السنّة النبويّة ، وذلك في محاولة لبيان هذا الكثر العظيم الذي غفل عنه الكثير من المسلمين.

ب - لما نرى من غياب الحوار داخل الأسرة المسلمة ، هذا الغياب الذي أدّى إلى انتشار الفساد الأخلاقي بشكل فضيع ، والذي مسّ بقدر كبير فئة الشّباب.

ج - لما نرى من غياب الحوار بين الزوجين ، حيث أدّى إلى انتشار الطلاق في المجتمع المسلم.

د - أهميّة موضوع الحوار وخاصّة في مجال التّربية ، لأنّه يعتبر أسلوبا ناجحا في التّربية والدّعوة إلى الله تعالى.

لهذه الأسباب وغيرها ارتأيت أن أقف على مفهوم الحوار النبويّ ، وكيف مارسه صلّى الله عليه وسلّم في حياته الشريفة ، وكيف أتى ذلك أكله ، ثم أقدمه لأهل العلم خاصّة والناس عامة ، علّه يكون نبراسا يهتدون به وميزانا في حسناتنا.

5- إشكالية البحث: تنطلق فكرة هذا البحث من جملة من هذه التساؤلات التي يطرحها واقعنا

وتحتاج إلى بحث واستقصاء وجواب علمي ومنهجي ، وهذه التساؤلات هي:

أ- هل الحوار كأسلوب تربوي من الأساليب النبوية التربوية في تبليغ الرسالة.

ب- هل هناك مواقف نبوية تجيد الحوار كأسلوب من أساليب التربية.

ت- ماهي الآداب والضوابط التي تراعى أثناء الحوار حتى يتسم هذا الأخير بالنجاح.

ث- مامدى تأثير الحوار على نجاح العملية الدعوية والتربوية.

ج- ما هي أهم الآثار التربوية للحوار.

6- أهداف الدراسة : الهدف الأول من هذه الدراسة هو عبادة الله تعالى وذلك بإحياء سنة

المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهناك جملة من الأهداف المرجوة من ذلك منها:

أ- السعي إلى تهذيب سلوك المسلمين أفرادا أو جماعات باتّباع هدي النبي صلى الله عليه

وسلم في هذا المجال.

ب- محاولة الوقوف على أسلوب الحوار كأسلوب تربوي في السنة النبوية ، وكيف

كانت حقيقته في الواقع .

ج- محاولة لإثراء البحث العلمي الأكاديمي في مجال الحديث الموضوعي.

د - أرمي إلى نظرة جديدة لفهم السنة النبوية ، لإصلاح حال المسلمين في عصرنا هذا وهو

هدف أي دراسة موضوعية في السنة النبوية .

هـ - محاولة جادة لإبراز كيفية تجسيد الحوار في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

7- الدراسات السابقة: أثناء بحثي حول هذا الموضوع وتقصّي آثاره وقفت على جملة من

الدراسات القريبة منه وهي:

أ- فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية: عبد الله الموصلي، إلّا أنّ كاتبه اقتصر على ذكر

الحوار الواقع مع المخالف دون غيره ، بيد أنّ بحثي ضمّنته الحوار مع المخالف المسلم

وغير المسلم ، ضف إلى ذلك ما تعرّضت إليه في الفصل الأخير من ذكر الآثار التربوية

للحوار في ضوء السنة النبوية.

ب - فقه الحوار في ضوء السنّة النبويّة لأحمد عبده عوض ، حيث تناول الحوار عموماً دون أن يتطرق هو الآخر إلى ذكر الآداب والضوابط ، وكذا الآثار التربويّة للحوار في السنّة النبويّة.

ج - التّربية بالحوار: عبد الرحمن النّحلاوي ، هذا الذي تناول فيه بعض الجوانب التربويّة للحوار.

د - الحوار لغة القرآن والسنّة لإبراهيم أحمد الوقفي، حيث أكّد من خلاله أنّ الحوار لغة القرآن والسنّة وذلك بعرض بعض الآيات والأحاديث التي تثبت ذلك .

هـ - الحوار آدابه وضوابطه في ضوء القرآن والسنّة : يحيى محمّد زمزمي ، حيث ركّز فيه على ذكر أهمّ الآداب والضوابط التي تراعى أثناء الحوار النّاجح وذلك وفق ثلاث معايير : نفسية وعلمية ولفظية ، وهو نفس التقسيم الذي اعتمدته في الفصل الثاني من بحثي هذا.

و - الحوار في السّيرة النبويّة : السيّد علي الخضر ، حيث تطرّق إلى ذكر المواقف الحوارية في السيرة النبويّة ، بالإضافة إلى ذكر أهمّ الآداب التي لا بدّ وأن تراعى أثناء الحوار ، مدلّلاً على ذلك بمواقف من السّيرة النبويّة .

ي - الحوار في السيرة النبويّة : محمّد إبراهيم الحمد ، حيث تضمّن تقرّيباً نفس العناصر التي تضمّنها المرجع السابق ، مع إضافة المبحث الذي تناول الحوار مع النساء والشباب والأطفال.

8- صعوبات البحث: وككلّ بحث علمي لا يخلو من الصّعوبات فقد واجهتني صعوبات كثيرة وأهمّها:

أ - قلة المراجع في ميدان الدّراسات الموضوعيّة في الحديث النبويّ الشّريف ، حيث لا توجد كتب مؤلفة في هذا الموضوع ، بل كان عليّ الاجتهاد في التّنقيب على عناصر البحث في بطون الكثير من الكتب والمؤلّفات.

ب - تشعب البحث وذلك أنّ الكثير من قام بالبحث فيه كانت طبيعة بحثه عامّة ، غير أنّي حاولت قدر المستطاع أن أحصر فيه النّقاط المهمّة والأساسية.

ج - لم يقتصر البحث على كتب في مجال واحد بل تعدّى إلى كتب في عدّة مجالات .

9- المنهجية المتبعة في الدراسة وطبيعة العمل: إن طبيعة البحث تقتضي الاعتماد على المناهج المناسبة لمثل هذه الدراسة وهي : المنهج الاستقرائي ، وذلك باستقراء الأحاديث الواردة في الحوار وذلك بجمعها من مصادرها ومطّانها ، ومحاولة إدراجها تحت العنوان المناسب لها في البحث وتخرجها التخرّيج العلمي ، ثم المنهج التحليلي والقائم على تحليل النصوص الحديثية الواردة وشرحها ، أمّا ما يخص طبيعة عملي فهي كالتالي:

أ- فيما يخص تخرّيج الأحاديث فقد قمت بإيراد الأحاديث التي هي في دائرة المقبول وأشير إلى مصادرها في الهوامش ، وذلك بذكر المؤلف ثم المصدر ثم الكتاب والباب ثم ذكر رقم الحديث دون ذكر الجزء والصّفحة .

ب- إذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين ، فإنّي أقوم بذكر درجته اعتمادا على أقوال علماء التّخرّيج في ذلك .

ج- فيما يخصّ تراجم الأعلام : لم أترجم للصّحابة والتّابعين وكذا البخاري ومسلم .

د- أقوم بذكر المعلومات الخاصّة بالكتاب وأكتفي بذلك عند أوّل ذكره ، أمّا فيما يخصّ مصادر السنّة فقد أجمّلت ذكرها تحت فهرس المصادر والمراجع.

هـ - فيما يخصّ الفهارس فقد ربّتها ترتيبا ألفبائيا ، غير أنّ فهرس الآيات فقامت بترتيبها حسب ورودها في المصحف.

10- أهمّ المصادر والمراجع : اعتمدت في هذا البحث على العديد من المصادر والمراجع أذكر أهمّها:

- كتب السنّة كالصحيحين والسنن.....الخ.
- شروح السنّة وأهمّها: فتح الباري على شرح البخاري لابن حجر العسقلاني وشرح النووي على مسلم وشرح ابن بطال أيضا على البخاري.
- كتب في الحوار وأهمّها: الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النبويّة : عبد الله الموصلي ، وفقه الحوار في ضوء السنّة النبويّة لأحمد عبده عوض.....الخ.
- كتب في التّربية وأهمّها: التّربية ودورها في تشكيل السّلك لمصطفى الطحّان ، التّربية بالحوار لعبد الرّحمن النّحلاوي...الخ.

الخطة الإجمالية

حيث قسّمت هذا البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول .

فصل تمهيدي :

المبحث الأول : مفهوم الحوار

المبحث الثاني : أنواع الحوار

المبحث الثالث : القيمة الحضارية للحوار في القرآن الكريم

الفصل الأول : مظاهر الحوار في السنة النبوية

المبحث الأول : الحوار مع المسلم المخالف

المطلب الأول : الحوار بين العلماء

المطلب الثاني : الحوار في مجال التعلم

المطلب الثالث : الحوار مع العوام

المطلب الرابع : الحوار في الفتن والنوازل

المطلب الخامس : الحوار في باب السياسة الشرعية

المبحث الثاني : الحوار مع غير المسلم

المطلب الأول : الحوار مع اليهود

المطلب الثاني : الحوار مع النصارى

المطلب الثالث : الحوار مع المنافقين

المطلب الرابع : الحوار مع المشركين

المبحث الثالث : الحوار مع المسلم غير المخالف

المطلب الأول : الحوار مع النساء عموما

المطلب الثاني : الحوار مع أمّهات المؤمنين

المطلب الثالث : الحوار مع الشباب

المطلب الرابع : الحوار التربوي مع الأطفال

الفصل الثاني : آداب وضوابط الحوار في السنة النبوية

المبحث الأول : الآداب النفسية للحوار

المطلب الأول : التجرد في طلب الحق

المطلب الثاني : مراقبة النفس أثناء الحوار

المطلب الثالث : عدم اتهام النيات

المبحث الثاني : الآداب العلمية للحوار

المطلب الأول : الحذر من الجدال

المطلب الثاني : البدء بالأهم في عرض الموضوعات

المطلب الثالث : الالتزام بالموضوعية أثناء الحوار

المبحث الثالث : آداب متعلقة بجو الحوار

المطلب الأول : ملائمة الزمان

المطلب الثاني : ملائمة المكان

المطلب الثالث : ملائمة الموضوع وطريقة طرحه

الفصل الثالث : الأثر التربوي للحوار في ضوء السنة النبوية

المبحث الأول : الآثار الوجدانية والعاطفية

المطلب الأول : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : كسب القلوب وتغليب الروح الإنسانية على المادية

المطلب الثالث : نشر المحبة بين الناس

المطلب الرابع : إشاعة الأمن والراحة والطمأنينة

المبحث الثاني : الحوار في الإقناع وتصويب الخطأ

المطلب الأول : الدّخول في الإسلام

المطلب الثاني : التّقليل من شأن الدّنيا في النّفوس

المطلب الثالث : تهذيب الأخلاق والرّجوع عن المعصية

المطلب الرابع : التّجاوب والعطاء

المطلب الخامس : تصويب الخطأ

المبحث الثالث : الآثار المعرفيّة والتّوضيحيّة

المطلب الأول : ترسيخ العلم والإيمان

المطلب الثاني : كشف الحقائق عن كثير من المسائل

المطلب الثالث : ترسيخ المعاني الرّبانيّة في النّفوس

و في الأخير ذكرت خاتمة هذا البحث أجملت فيها أهمّ التّائج التي توصلت إليها.

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: مفهوم الحوار

المبحث الثاني: أنواع الحوار

المبحث الثالث: القيمة الحضارية للحوار في القرآن
الكريم

المبحث الأول: مفهوم الحوار

الحوار لغة: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها: اللون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً¹، والحوار مشتق من الحَوَر: وهو الرجوع عن الشيء إلى شيء آخر.² وفي الحديث: "من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه"³، أي رجع إليه ما نسب إليه، والحوار: النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال⁴، وفي الحديث: "نعوذ بالله من الحوار إلى الكور"⁵ "وأحار إليه جوابه: رده، وأحرت له جواباً وما أحار بكلمة."⁷

والاسم من المحاورة وهي المحاوبة ومراجعة التّطق، والكلام في المخاطبة، وقد حاوره وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم، يتراوحن ويتحاورون⁸، واستحاره: استنطقه، والتّحاور: التّجواب، تقول كلمته فما أحار إليّ جواباً، وما وقع إليّ حويراً ولا حواراً: أي ما ردّ إليّ جواباً.⁹ ومن مشتقات الحوار أيضاً الأحر: وهو العقل الصافي، يقال: ما يعيش بأحر: أي بعقل صاف، ولذلك قال أحدهم:

جلبن عليك الشّوق من كلّ مجلب بعيد ولم يترك للمراء أحوراً¹⁰

فالحوار في اللغة يأتي بمعان عديدة منها: — المحاوبة من: ما رجع إليّ حويراً ولا حواراً: أي ما ردّ جواباً.

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1979م، ج2، ص155.

² ابن منظور، لسان العرب، ت: عامر حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، مج3، ص205.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم: 61.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص205.

⁵ الكور: من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها وهي بمعنى أنه كان على حالة جميلة، فحار عن ذلك أي رجع، أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك ابن الأثير، ت: محمد عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ، ج4، ص1243، وغريب الحديث لأبي عبيدة القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1396هـ ط1، ج1، ص62.

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهاً لسفر حج...، رقم: 1342.

⁷ ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص205.

⁸ سيّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: عبد المنعم إبراهيم، كرم محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ / 2007م، مج6، ج11، ص57.

⁹ ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص205.

¹⁰ محمود الزمخشري، أساس البلاغة، ت: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ص99.

— المراجعة في النطق من أحرار إذا رجع، وتجاوزوا: أي تراجعوا في الكلام بينهم¹، ويأتي بمعنى الكلام في المخاطبة.

الحوار اصطلاحاً:

تعددت تعريف العلماء للحوار، نذكر بعضاً منها: الحوار هو مراجعة الكلام بالوعظ.²

- الحوار هو مراجعة الكلام بين متكلمين.³
- الحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر.⁴
- الحوار تردد الكلام بين فريقين للوصول إلى الحق.⁵
- الحوار عبارة عن مناقشة وجدل يكون بين شخصين أو أكثر، يعرض كل جانب نظره فيما يراه ويعتقد من أمور.⁶
- ومنهم من عرفه بأنه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، ويتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.⁷

ولعلّ التعريف الأخير هو التعريف السليم للحوار، كونه قد راعى النقاط الرئيسية التي يركز عليها الحوار من أصول وآداب الحوار، وصفات المحاور.

ومن الملاحظ على هذه التعاريف الاصطلاحية للحوار أنها تصبّ في معنى واحد وهو: مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون ما يدلّ بالضرورة على وجود خصومة بينهما، ومن هنا

¹ محمد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، دط، دت، مج3، ص15

² برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرّج أحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/1995م، ج4، ص468.

³ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1404هـ/1984م، ج15، ص319.

⁴ عبد الرحمن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ت: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سوريا، ط1، 1410هـ/1990م، ص299.

⁵ محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، دط، 1400هـ/1980م، ص10.

⁶ عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م، ص478.

⁷ في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، تنفيذ: المنيع للدعاية والإعلام، الرياض، ط5، 1416هـ/1995م، ص15، نقلاً من: فتحي عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية، الدار الأثرية، عمان، ط1، 1428هـ/2007م، ص10.

يمكننا أن نحدد عناصر المحاور وهي:

- 1 — وجود أطراف للحوار، سواءا كانوا أشخاصا أو مؤسسات أو جهات.
 - 2 — موضوع الحوار.
 - 3 — تبادل الحديث والمراجعة بالكلام، أو بأي وسيلة معبرة عن مقصود أطراف الحوار.
- مرادفات الحوار:

الجدل: الجدل في اللغة: شدّ الفتل، وجدلت الحبل أجده جدلا إذا شددت فتله فتلا محكما.¹

وجاء في أساس البلاغة: جدّله: أي ألقاه على الجدالة وهي الأرض²، وقد سُميت به إحدى سور القرآن الكريم — المجادلة —

والجدل اصطلاحاً: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، ويقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة، وهو القياس المؤلف من المشهورات والمسلّمات، والغرض منه إلزام الخصم من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان³، فالغرض من الجدل هو مجرد الغلبة، ففي الجدل يبذل من أجل هذه الغلبة جهد، يقول الرازي⁴ رحمه الله عند هذه الآية: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾ غافر: "والجدال نوعان: جدال في تقرير الحق، وجدال في تقرير الباطل، أمّا الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء — عليهم السلام، قال الله عزّ وجلّ للنبيّ ﷺ ﴿ وَجَدَلْتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥، وقال حكاية عن الكفار أنّهم قالوا لنوح — عليه السلام —: ﴿ قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص 569.

² الزمخشري، أساس البلاغة، ص 53.

³ علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تد: محمد عبدالحكيم القاضي، دارالكتب العلمية، بيروت، ص 75.

⁴ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري أبو عبد الله، الإمام المفسر المتكلم، لقب بشيخ الإسلام، ولد في 544 هـ بالري، أتقن علوما كثيرة، وكان شافعيّا أشعريّا من كتبه: مفاتيح الغيب، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة، مفاتيح العلوم في تفسير الفاتحة... الخ، توفي سنة 606 هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، مج4، ص 248-252، ومعجم المؤلفين، ج11، ص 79-80، شذرات الذهب مج3، ج5، ص 21.

جَدَلْنَا ﴿٣٢﴾ هود: ٣٢، وأمّا الجدل في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية، حيث قال الله تعالى: ﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿٤﴾ غافر: ٤، وقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ الزخرف: ٥٨، وقال: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ﴿٥﴾ غافر: ٥، ثم قال: "واعلم أنّ لفظ الجدل في الشيء مشعر بالجدال بالباطل، ولفظ الجدل على الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه."¹

وعند تتبع كلمة الجدل في القرآن الكريم يظهر أنّ أغلبها يكون في الموضع غير المرضي عنه أو غير المجدي كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾ الكهف: ٥٤، وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ ﴿٥٦﴾ الكهف: ٥٦، حيث وردت كلمة الجدل في القرآن الكريم تسعا وعشرين مرة²، بصيغتها المختلفة، فجاءت مرتين بصيغة المصدر من الجرّد، والبقية بصيغة المزيد بحرف (جادل) بأزائها الثلاثة، وبأحد مصدريها تضمّنتها سبعة وعشرين آية، ولعلّ سبب ذلك هو طبيعة المرحلة التي تستلزم الجدل لردّ دعوى الخصم.³

علاقة الحوار بالجدل:

يقول محمد حسين فضل الله⁴: "... كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل... باعتبار تضمّن الكلمة الثانية معنى الصّراع، بينما نجد الكلمة الأولى تتسع له ولغيره ممّا يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب..."⁵

¹ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، قدّم له: خليل محي الدين الميس، دار الفكر، دط، 1415هـ / 1995م، مج 14، ص 223

² البقرة: 167، النساء: 107، 109، الأنعام: 25، 121، الأعراف: 71، هود: 32، 74، النحل: 16، 125، الرعد: 13، الكهف: 54، 56، الحج: 3، 8، 68، العنكبوت: 46، لقمان: 20، غافر: 4، 5، 35، 56، 69، الشورى: 35، الزخرف: 58، المجادلة: 1.

³ محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، دار الشهاب، باتنة، دط، ص 10.

⁴ حسين فضل الله: ولد في 2 نوفمبر 1935 م، مرجع شيعي لبناني، ولد في مدينة النجف في العراق. يعتبر من أكابر علماء الشيعة، له عدّة مؤلفات: فقه الحياة، الحوار في القرآن، من وحي القرآن. وتوفي عام: 2010. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

⁵ حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده وأساليبه، معطياته، دار المنصوري، الجزائر، ج 1، ص 18.

وقد ورد الجدل والحوار في آية واحدة من القرآن الكريم ؛ بحيث يعود الحوار على الحديث الذي يشارك فيه الرسول ﷺ، بينما يعود الجدل على المرأة التي كانت تحاوره، فقد قال الله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١، فهي في موقف مضاد فيما يتعلق بزوجها، ولكنها ليست في موقف مضاد مع النبي ﷺ، فالجدل يتسم بمسائل مثل العقم، اللأجدوى، إخضاع الفكرة إلى متاهات، الترف الذهني، الصراع، أما كلمة الحوار فتتسم بالتوليد والفائدة، والإقناع، وتغيير الوعي بعمق.

تعريف المناظرة:

المناظرة في اللغة: من النظر وهو قلب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، ويراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص والروية¹، والمناظرة هي المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته²، والتظير: المثل، وأصله المناظر، وكأنه ينظر كل واحد منهما إلى صاحبه فيباريه.³

فالمناظرة في الاصطلاح يعرفها الإمام الشاطبي⁴ — رحمه الله — بقوله: "... ردّ الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه، لأنّ رده بغير ما يعرفه من تكليف ما لا يطاق، فلا بدّ من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل المستدل، وعلى ذلك دلّ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۝٥٩ ﴾ النساء: ٥٩، لأنّ الكتاب والسنة لاختلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدليل والأمل المرجوع إليه في مسائل النزاع..."⁵

¹ الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: محمد خليل عتاني، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ/1998م، ص499.

² الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص162.

³ الراغب الأصبهاني، معجم مفردات القرآن الكريم، دار الكتب العلمية بيروت، دط، 1979 م، ص 518.

⁴ الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي أبو إسحاق حافظ ثقة محدث ومفسر، أصولي من أئمة فقهاء المالكية من أهل غرناطة، له تأليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمات الفوائد، منها الموافقات في الفقه من أنبل الكتب وتأليف في الحوادث والبدع سماه: الاعتصام، و المجالس شرح به كتاب البيوع من البخاري وكتاب الإفادات والإنشاءات، عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق، توفي في شعبان 790هـ، انظر شجرة النور الزكية ل محمد مخلوف ج1 ص231، معجم المؤلفين لعمر كحالة، ج1، ص118.

⁵ أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي: الموافقات، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص 33.

علاقة الحوار بالمناظرة والجدل:

من خلال معرفة معنى الحوار والجدل والمناظرة، يتبين لنا أن الحوار لفظ عام يشمل صوراً عديدة منها: المناظرة والمجادلة، وقد يذكر الجدل ويراد به مجرد مراجعة الكلام بين المتخاطبين بدون إلزام أو مغالبة كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١.

ويرى بعض العلماء أنه لا فرق بين الجدل والمناظرة اصطلاحاً، حيث قال الجويني¹ — رحمه الله —: "ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريق اللغة، وذلك أن الجدل في اللغة: مشتق من غير ما اشتق منه النظر." 2

فالمجادلة والمناظرة والجدل ألفاظ متقاربة وبين معنى الحوار ومعاني هذه الألفاظ عموم وخصوص أي أن كل جدل هو حوار، وليس كل حوار جدلاً، وأيضاً فإن معنى الحوار عند الانفراد يكون عاماً وعند الاقتران — مثلاً — له معنى خاص، وهكذا مع سائر الألفاظ كالمراء والخصومة والمحااجة.³

ولقد ذكر الإمام محمد أبو زهرة⁴ — رحمه الله — الفرق بين الجدل والمناظرة من حيث الاصطلاح؛ إذ المناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أقطار المناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال.⁵

¹ الجويني: إمام الحرمين الإمام الكبير شيخ الشافعية أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري ضياء الدين، ولد سنة 419هـ، من أهم مؤلفاته: نهاية المطلب في دراية المذهب، البرهان، الإرشاد في أصول الدين، غياث الأمم، انظر سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، ج13، ص68، وانظر طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي، ج1، ص197.

² أبو المعالي عبد الملك الجويني، الكافية في الجدل، تـ: فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الزهرية، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص19.

³ أحمد عثمان، أصول الجدل، ص19، نقلاً من فتحي الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص13.

⁴ محمد أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة في الحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في 6 ذو القعدة 1331هـ ألف ما يزيد عن 30 كتاباً غير مجوته ومقالاته: عرف الأصول والفروع، من أهم مؤلفاته: المعجزة الكبرى، تناول فيها قضايا نزول القرآن وجمعه وتدوينه وقراءته ورسمه وترجمه إلى لغات أخرى، الجريئة في الفقه الإسلامي، تاريخ المذاهب الإسلامية، انظر: ملتقى أهل الحديث بقلم أحمد تمام.

⁵ محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص5.

المبحث الثاني: أنواع الحوار

حيث قسّم الحوار بالنظر إلى عدّة اعتبارات، سأقتصر تحت هذا العنوان على ذكر ثلاث منها دون ذكر الأخرى، وذلك خشية الطول وتماشيا مع ماله علاقة ببحثي.

أولا: الحوار باعتبار جوازه وإباحته:

وهذا التقسيم ينظر فيه إلى شرعية وسائل الحوار ومقاصده والطريقة التي يتم بها الحوار، وهو نوعان: حوار محمود، وحوار مذموم، وغالب من يقسّم هذا التقسيم ينظر إلى الحوار على أنّه من باب الجدل والمناظرة.¹

قال النووي² — رحمه الله —: "واعلم أنّ الجدل قد يكون بحقّ وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^{٤٦} العنكبوت: ٤٦، وقال الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^٤ غافر: ٤، فإذا كان الجدل الموقوف على الحقّ وتقريره كان محمودا، وإن كان في مدافعة الحقّ أو كان جدالا بغير علم كان مذموما، وعلى هذا التفصيل تنزّل النصوص الواردة في إباحته وذمه.³

وقال شيخ الإسلام بن تيمية⁴ — رحمه الله —: "والمقصود أنّهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال، وأمّا جنس المناظرة بالحقّ فقد تكون واجبة تارة ومستحبة تارة أخرى، وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها: محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحقّ وباطل."⁵

¹ فتحي عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص14.

² النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الخزامي، ولد سنة 631 هـ، بـ: نوا، وهي قرية من الشام، لم يتزوج، توفي سنة 676 هـ من أشهر مؤلفاته: شرحه على صحيح مسلم، والأربعون النووية، انظر طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي 28، ص: 266.

³ شرف الدين النووي، الأذكار، تـ: محمد الحجّار، دار البشائر، ص319.

⁴ ابن تيمية: أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي تقي الدين ابن العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن أبي القاسم بن تيمية الحراني بجران سنة إحدى وستين وستمائة (661هـ) توفي سنة 728هـ من كتبه: اقتضاء الصراط المستقيم، الرسالة الحموية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، درء تعارض العقل والنقل، انظر النهاية والبداية لابن كثير مجلد7، ص281 ورجال الفكر والدعوة في الإسلام لعلي الندوي ج2، ص28.

⁵ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تـ: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1401هـ/1981م، ج7، ص174.

ثانيا: الحوار باعتباره أسلوبا من أساليب الدّعوة:

فبالنّظر إلى الحوار كونه أسلوبا من أساليب الدّعوة إلى الله تعالى ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

الحوار التعليمي: وهو الحوار الذي تستنتج من خلاله آداب المتعلّم أثناء تحصيله العلم، وتتمثّل في الصّبر والأناة على وجه الخصوص، مع مراعاة تعليم الطرف الآخر وغالبه يكون بطريق السؤال والجواب.¹

الحوار الوعظي: وهو أسلوب من أساليب الوعظ والإرشاد والتذكير، ويكون متضمّنا للترهيب والترغيب.

الحوار الجدلي: وهو أسلوب لردّ الخصوم، ودفع شبهات وأباطيل الطرف الآخر، وتجري على هذا النوع قوانين الجدل والمناظرة.²

وهذه الطريقة في التقسيم دلّ عليها قوله عزّ وجلّ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بَالِغًا مِّمَّا أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥

فالآية الكريمة قد بيّنت أساليب الدّعوة إلى الله تعالى: بالحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولما كان الحوار وسيلة من وسائل الدّعوة، كان عليه أن يلتزم بهذه المواصفات في الآية حتّى يحقق الهدف المنشود من دعوته.

ثالثا: الحوار باعتبار أثره التربوي

ينقسم الحوار بناء على هذا الاعتبار إلى خمسة أنواع:

الحوار الخطابي أو التعبدي:

وهذا النوع قد دلّت عليه الآيات القرآنية الكثيرة، حيث خاطب الله عباده في عشرات المواضع، مصدرًا خطابه بنداء التعريف بالإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وكلّما قرأه المؤمن لهج قلبه بالجواب: لبيك يا رب، ولذلك اعتبر هذا الأسلوب حوارا، وقد يجري العكس، فإذا خاطب المؤمن ربّه داعيا إياه في بعض آيات القرآن الكريم، أجابه الحقّ جلّ جلاله بما يناسب المقام.³

¹ فتحي عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص15

² المرجع نفسه، ص 15.

³ عبد الرحمن التّحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، سوريا، ط2، 1403هـ/1993م، ص207.

فقد روي عن أبي هريرة — رضي الله عنه — سمعت النبي ﷺ يقول: " قال الله تعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة 1، قال الله تعالى: حمدي عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الفاتحة 2، قال الله تعالى: أثني عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة 3، قال: مجدي عبدي، وقال مرة: فوض إليّ عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة 4، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٢﴾ الفاتحة 5-6، قال هذا لعبدي ولعبي ما سأل. 1" فهذا وغيره دليل على الحوار التعبدى القائم بين العبد وربّه.

الحوار الوصفى: وهو الحوار الذي يستعين بالمخيّلة، والوصف الدقيق لأحوال أهل النار وأهل الجنة على تربية العواطف الربّانية والتأثير في نفس القارئ أو السامع، والقصد من هذا الحوار الاقتداء بصالح العباد والابتعاد عن شرّيرهم، والأمثلة على هذا النوع في القرآن الكريم نذكر منها: قوله تعالى في حوار أهل النار ﴿وَقَالُوا يُبَوِّلْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ٢٠﴾ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢١ ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٣﴾ الصافات: ٢٠ - ٢٣، فالحوار هنا بين الحقّ جلّ جلاله وبين ملائكته، والحديث عن الظالمين الذين استحقوا عذاب جهنّم، ثم استمرّ الحوار لبيان ضعفهم والاستهزاء بهم بعد أن ينالوا حسابهم في ذلك الموقف: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْصَرُونَ ٢٥﴾ الصافات: ٢٤ - ٢٥، وعجزوا عن الجواب فأخبرنا الله عزّ وجلّ عن حالهم: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ٢٦﴾ الصافات: ٢٦، ثم دار الحوار بين قادة الظلم والباطل، وبين السّوقة الذين استسلموا للباطل في الدنيا، فحشروا في العذاب جميعاً. 2

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ٢٨﴾ الصافات:

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، رقم: 365.

² عبد الرحمن التّحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 220.

٢٧ - ٢٨، وتنصّل قادة الظلم من المسؤولية: ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) الصافات: ٢٩ - ٣٠، فالحوار الوصفي يعتمد على الإيحاء والتعريض دون التصريح، فالآيات الكريمة هنا تحذّرنا من هذا المصير دون أن تقول لنا: إياكم أن تفعلوا فيما وقع فيه هؤلاء، وهذا الإيحاء أشدّ تأثيراً من التلقين.¹

الحوار الجدلي:

وهو حوار يهدف من خلال المناقشات التي يجريها إلى إثبات الحجّة على المشركين بضرورة الإيمان بالله عزّ وجلّ وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة محمد ﷺ، كوصفه لما رأى عندما عرج به إلى السماوات العلى.²

كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ (٢٠)﴾ النجم: ١٩ - ٢٠، ثمّ يعيّرهم الحقّ جلّ جلاله في نسبة البنات - الملائكة - إلى الله - تعالى عمّا يصفونه علّوا كبيرا - مع أنّهم يكرهون أن تكون لهم البنات، ويتمنّون البنين، قال الله تعالى: ﴿الْكُفْرَ الذَّكْرَ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِرْيَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ الْهُوَ (٢٣)﴾ النجم: ٢١ - ٢٣.

وفي هذا ما فيه من تناقض المشركين، إذ ينسبون إلى خالقهم المنعم المتفضّل عليهم ما يكرهون لأنفسهم.

ثمّ يبيّن لهم معيارهم في التفكير ومبلغهم من العلم، وأنّه معيار خاطئ لا يغني ولا ينتج شيئا، أنّه معيار الظنّ والهوى، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾ النجم: ٢٣، ويستمرّ أسلوب الحوار الاستفهامي الجدلي التهكمي في قوله تعالى ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥)﴾ النجم: ٢٤ - ٢٥.³

¹ المرجع نفسه، ص 221.

² المرجع نفسه، ص 224.

³ المرجع نفسه، ص 225.

الحوار النبوي:

وهو حوار النبي ﷺ الذي استمد أشكاله وصوره من حوار القرآن الكريم، كيف لا وقد كان خلقه القرآن الكريم، ولما كان ﷺ القدوة لكل المرين في كل زمان ومكان، فقد كان من أساليبه في التربية الحوار، فالذي يتفحص كتب السنة يجد في كثير من المواضع التي استعمل فيها النبي ﷺ الحوار وممارسه كأسلوب من أساليب التربية.¹

الحوار القصصي:

وهو حوار يمتاز عن سابقه بأنه يعرض حجج الأنبياء عرضاً فكرياً ربانياً، وتدحض فيه حجج الظالمين الماديين ويبيّن لنا منطقهم المتهاافت، كما يمتاز بذكر نتيجة القصة ومصير كل من الظالمين والمؤمنين وتصويره تصويراً مرتبطاً بالحوار، وبمراحل القصة ارتباطاً وثيقاً، وذلك بعد ترقب وتلهّف يد القارئ والسامع إلى تتبع الحوار وتأمل معانيه.²

وقد انتشر هذا الحوار في كثير من قصص القرآن، والحوار القصصي ذو أثر فكري رائع، بالإضافة إلى أثره الوجداني العاطفي.³

وهذا كما يتجسّد مثلاً في قصة شعيب مع قومه في سورة هود، فالآيات العشر الأولى من هذه القصة كلّها حوار، ثمّ ختم الله تعالى القصة بآيتين بيّن فيها عاقبة قوم شعيب.

¹ المرجع نفسه، ص 228.

² المرجع نفسه، ص 223.

³ المرجع نفسه، ص 222.

المبحث الثالث: القيمة الحضارية للحوار في القرآن الكريم

إذا تتبعنا لفظ الحوار في القرآن الكريم وجدنا أنه قد جاء في ثلاثة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤) الكهف: ٣٤، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ (٣٧) الكهف: ٣٧، وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) المجادلة: ١، وأكثر ما جاء في القرآن الكريم من أقوال وأحداث قصصية، كان الحوار هو طريق عرضها¹، حيث تعرّضت آيات القرآن الكريم في مواضع شتى للحوار وبأساليب مختلفة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي بعض النصوص الأخرى تحت على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان لآداب خاصة من آداب الحوار، وفي قسم منها نماذج وأمثلة للحوار.²

يقول محمد الغزالي³ — رحمه الله — في تقديمه لكتاب الحوار لغة القرآن والسنة ما نصّه: "وقد تّبعت كلمة: هاتوا برهانكم في القرآن الكريم فوجدتها في مواضعها الكثيرة تضبط الحوار وتسيّره على منهج سليم، يقول الله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعَىٰ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بِأَسَنَاءَ ..﴾ (الأنبياء: ٢٤) أي ليس لكم دليل عقلي ولا نقلي على وجود إله آخر، إنّ خالق الكلّ وضابط الكلّ هو الله الواحد... ويزداد المعنى وضوحاً في آية أخرى ﴿أَمِنْ يَدَاؤُا الْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ بِهِ قُلٌّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن

¹ أحمد عبده عوض، فقه الحوار في ضوء السنة النبوية، ألفا، مصر، ط1، 1429هـ/2008م، ص17.

² المرجع نفسه، ص24.

³ محمد الغزالي: يعدّ أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ولد في محافظة نكلا العنب المصرية، في 5 ذي الحجة 1335هـ الموافق ل: 22 سبتمبر 1917م، نشأ في أسرة متديّنة، بدأت كتاباته في مجلّة الإخوان المسلمين أثناء دراسته بالكلية، والتحق بكلية أصول الدّين بالأزهر وتخرّج منها سنة 1941م، حيث تلقّى العلم عن شيوخ الأزهر آنذاك أمثال: محمد شلتوت، محمد أبو زهرة والشيخ محمد محمد المدني وغيرهم، وعمل بعد تخرّجه إماماً وخطيباً بمسجد العتبة الخضراء، توفي سنة 1996، من مؤلفاته: عقيدة المسلم، فقه السيرة.... إلخ، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ النمل: ٦٤، ويطرد طلب الدليل في الدنيا والآخرة، أي أيام التكليف ويوم الجزاء لتتم عدالة الحساب، ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ القصص: ٧٤. ¹ " ومن النصوص العامة التي وضعت مقومات الحوار وأصوله وشروط الانتفاع به قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفَةٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦. ²

تأتي هذه الآيات ردًا على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ، دون تدبر أو تفكير، فاتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى، كما في الآيات قبلها: ﴿وَإِذَا نُنَادِيهِمْ عَلَيْهِمْ هَآئِهِمُ اتَّبِعُوا قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سبأ: ٤٣، قال الطبري ³ — رحمه الله —: "وقيل: إنما قيل: ﴿إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى، ﴿مِثْلَ خِزْفَةٍ﴾: يقوم الرجل منكم مع الآخر فيتصادقان على المناظرة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنونا قط، ثم ينفرد كل واحد منكم، فيفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به، فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم." ⁴ وقال الزمخشري ⁵ — رحمه الله —: "والمعنى ﴿إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ إن فعلتموها

¹ إبراهيم أحمد الوقفي، الحوار لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993م، ص3.

² محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، جامعة القصيم، 1429هـ، ص43.

³ الطبري: ولد بـ: أمل، سنة 224 هـ، استوطن بغداد وأقام بها، كان أحد أئمة العلماء، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، من أشهر كتبه: الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتابه في التفسير، وكتاب سماه: تهذيب الآثار، توفي سنة: 310 هـ، ببغداد، انظر شذرات الذهب، مج1، ص260.

⁴ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، تـ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م، ج20، ص417.

⁵ الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، ولد في زمخشري من قرى خوارزم عام 467 هـ، ورحل إلى عدة أماكن، أخذ بمذهب الاعتزال، مات بالجرجانية من قرى خوارزم بعد رجوعه من مكة، من أشهر كتبه: الكشف عن حقائق التزويل، الفائق في غريب الحديث، متشابه أسماء الرواة، توفي عام 538 هـ، انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج5، ص489 ومعجم المؤلفين، ج12، ص186، وشذرات الذهب، مج2، ج4، ص118.

أصبتكم الحقّ وتخلّصتم وهي إن لوجه الله خالصين متفرقين اثنين وواحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَنَفَّكُوا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به، أمّا الاثنان فيفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر المتصادقين المتناصفين لا يميلان إلى أتباع الهوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحقّ وسنته، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل وإنصاف من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقرّ عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم، والذي أوجب تفرّقهم مثنى وفردى: أن الاجتماع ممّا يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الرؤية ويخلط القول، مع ذلك يقلّ الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصّب، ولا يسمع إلاّ نصرة المذهب".¹

فالله عزّ وجلّ أقام هذه الموعظة العظيمة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرْدَى ثُمَّ تَنَفَّكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦) سبأ: ٤٦، التي من أخذها بجميع مقوماتها، فلا بدّ أن يصل إلى الحقّ، وهذه المقومات هي: — القيام لله تعالى: وهو الإخلاص والتجرد في طلب الحقّ.

— مراجعة النفس على انفراد أو مع الآخرين، ممّا يقضي على عامل مهمّ من العوامل التي تغطّي الحقّ أو تشوّه وجهه.

— التفكير فيما يقوله المخالف، وهذا الأصل هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحقّ بعد الالتزام بالشرطين السابقين.²

فالآية الكريمة فيها إشارة إلى المناظرة والحوار، وذلك وفق الضوابط والأصول التي توصل إلى الهدف المنشود من ذلك الحوار، وبالتالي إلى النتيجة المثمرة.

ومن الآيات القرآنية التي هي الأخرى تدعو إلى الحوار الإيجابي، القائم على ضوابطه ومقوماته والموصلة بصاحبه إلى أهدافه: قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ...﴾ (النحل: ١٢٥)، قال الزمخشري — رحمه الله — في

¹ الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوب الترتيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م، ج3، ص590.

² أحمد عوض، فقه الحوار، ص24 بتصرف.

تفسيره هذه الآية الكريمة: " وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فضاضة ولا تعنيف. " ¹

وقد بين الإمام الشوكاني ² — رحمه الله — أساليب الدعوة المذكورة في الآية الكريمة حيث قال: " ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ وحذف المفعول للتعميم لكونه بعث إلى كافة الناس، وسبيل الله هو الإسلام بالحكمة: أي بالمقالة الصحيحة، وقيل: هي الحجج القطعية المفيدة لليقين، والموعظة الحسنة: هي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها المستمع، وتكون في نفسه حسنة باعتبار انتفاع السامع بها،... وجادلهم بالتي هي أحسن: أي بالطريق التي هي لأحسن طرق المجادلة، وإثما أمر الله سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محققاً وغرضه صحيحاً، وكان خصمه مبطلاً وغرضه فاسداً. " ³

نماذج حوارية في القرآن الكريم:

إنّ المتفحص لكتاب الله تعالى يجد مواقف حوارية عديدة، منها ما كان بين أنبياء الله تعالى وبين أقوامهم، ومنها ما كان بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، ومنها ما كان بين أصحاب الحقّ وبين أصحاب الباطل، والملاحظ عليها أنّ أغلبها إن لم نقل كلّها كانت تعرض ضمن القصص القرآني الذي يحتلّ مساحة كبيرة من كتاب الله تعالى، وسوف نختار من بين هذه النماذج العديدة بعضاً منها، لنبين من خلالها طبيعة الحوار في القرآن الكريم.

النموذج الأول: حوار الله تعالى مع الملائكة:

وهو حوار ضمن إطار قصّة البشريّة الأولى، وذلك عندما أخبر الله تعالى ملائكته بخلق الإنسان من أجل بناء الأرض وعمارتها، وتنمية الحياة وتنوّعها، وترقيتها على يد الخليفة الأوّل في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

¹ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص435.

² الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله، فقيه أصولي، محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن، ولد بشوكان، من بلاد خولان باليمن، له أكثر من مائة كتاب منها: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مطلع البدرين ومجمع البحرين في التفسير أيضاً، جواب السائل في تفسير "و القمر قدرناه منازل"، البدر الطالع لحاسن من بعد القرن السابع، إرشاد الفحول من علم الأصول، انظر معجم المؤلفين، ج11، ص53.

³ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، اعتنى به: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م، ج3، ص215.

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أَنْبِيَائَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُحُونَ ﴿٣٣﴾ البقرة: ٣٠ - ٣٣، أي أنه سبحانه لما أخبر ملائكته بأنه يريد أن يجعل في الأرض خليفة قالوا له: ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ مِنْ ... إلى آخر القصة، يقول ابن كثير¹: "... إنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ... قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفساد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل.. والمحجوبون لله تعالى والمتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم -".²

فهذه كالمناظرة من الملائكة، والجواب عن سؤالهم من الله عز وجل، فكان من ثمرات هذا الحوار الذي دار بين الله عز وجل في علاه وبين ملائكته، أن امتحنهم بالسجود لمن زعموا أنه يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، فأسجدهم له وأظهر فضله عليهم.

مناظرة إبليس في شأن آدم — عليه السلام —:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِسَاجِدَ بَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾

¹ — ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري، الشيخ عماد الدين، ولد سنة 700هـ ونشأ بدمشق، اشتغل بالحديث، وجمع التفسير وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية، توفي سنة 774هـ، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، مج 1، ج 1، ص 218، ومعجم المفسرين لعادل نويس مج 1، ص 93.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد ناصر الدين الألباني، خرّج أحاديثه: محمود بن الجميل، وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1، 1425هـ/2004م، ج 1، ص 90.

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٣٩﴾ الحجر: ٣٢ - ٣٩، فهذا وأمثاله مما يدلّك على ضعف مناظرة إبليس اللعين وفساد نظره وإدراكه، وأنّ الحكمة كانت توجب عليه خضوعه لآدم، فعارض حكمة الله وأمره برأيه الباطل ونظره الفاسد، فقياسه باطل نصّاً وعقلاً.

فالعالم يتدبّر سرّ تكرير الله عزّ وجلّ لهذه القصة مرّة بعد مرّة، ويحذر أن يكون له نصيب من هذا الرأى والقياس وهو لا يشعر، فقد أقسم — عدوّ الله — أنّه ليغوينّ بني آدم أجمعين إلّا المخلصين منهم.¹

النموذج الثاني: حوار نوح مع قومه:

نوح نبيّ الله ورسوله من أولي العزم من الرسل، جاء قومه يدعوه إلى الله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ ﴿٣٢﴾ المؤمنون: ٣٢، وهم هائمون في عبادة الأصنام، وكان له جدال مع ابنه، كما كان لإبراهيم جدال مع أبيه، وإنّ نوحاً عليه السلام هو أوّل رسول بعد آدم عليه السلام وأطول الرسل حواراً مع قومه، فقد لبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً، يدعوه إلى إخلاص العبادة ووحداية الألوهية له سبحانه، وذكره تعالى في تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وتسميت سورة منه باسمه، بلغت آياتها 28 آية، بدأها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١﴾ نوح: ١.²

فنوح — عليه السلام — بدأ فدعا قومه إلى التوحيد: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ هود: ٢٥ - ٢٦، فردّوا عليه بتهم له ولمن اتبعوه ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِكَ بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ هود: ٢٧. فردّ عليهم نوح بأربع: أنّه على بينة من ربه عميت أبصارهم عنها، ولن يكرههم عليها، وأنّه لن يسألهم أجراً، لأنّ أجره على الله، إنّ لن يطرد الذين آمنوا، لأنّه يخاف

¹ علي الصالحى، الضوء المنير على التفسير، مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، مج 1، ص 203.

² أحمد الوقفي، الحوار لغة القرآن والسنة، ص 1.

الله ومن ينصره من الله، وأنه لن يقول لهم لن يأتيكم الله خيراً، إنه إن فعل ذلك كان ظالماً، وأخيراً إنه لا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب ولا يدعي أنه ملك.¹ ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِّي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا آسَأُ لَكُمْ عَلَيْهِ مَا لَأِ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٣١﴾ هود: ٢٨ - ٣١.

ونصل إلى الإفحام فيقول قومه له ﴿قَالُوا يَنْتُحِقُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢﴾ هود: ٣٢، فيردّ نوح على ذلك: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِبَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٣٤ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْحَرُمُونَ ٣٥﴾ هود: ٣٣ - ٣٥.

وتأتي العاقبة في النهاية بعد استهزائهم منه وهو يصنع الفلك، وقبل أن يشير إلى العاقبة يشير إلى حوار مع ابنه وويليه حوار مع ربه، أمّا حوار مع ابنه فقد قال له: ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢﴾ هود: ٤٢، فكان ردّ ابنه الجاهل أنه سيعتصم بالحبل ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ٤٣﴾، فجاء ردّ الوالد الناصح الأمين ﴿قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ٤٤﴾، ولم يستطع الابن جواباً، فقد تاه جوابه مع أمر الله الذي جاء: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٥﴾ هود: ٤٣.²

وانتهى المشهد الأليم للأب وهو يشهد مصرع ابنه، فتأخذه الشفقة بولده ويخاطب ربه،

¹ أحمد عوض، فقه الحوار في ضوء السنة النبوية، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 42.

أما حوارهم مع ربه عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ﴾ ٤٥ هود: ٤٥، وكان قد صدق وعد ربه: ﴿قُلْنَا أَهْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ ٤٠ هود: ٤٠، وهنا تتقرر القاعدة الربانية التي تفصل بين الكفر والإيمان، ويأتي معها التوجيه والتأنيب: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٤٦ هود: ٤٦، وهنا يعود العبد الأواب إلى ربه يسأله المغفرة والرحمة في تذلل وخضوع، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ٤٧ هود: ٤٧.¹

النموذج الثالث: حوار موسى مع الخضر

وهو حوار يبرز من خلاله آداب المتعلم أثناء تحصيله العلم، وتمثل في الصبر والأناة على وجه الخصوص: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ٦٥ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٦٧ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦٨ ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ٧٠ الكهف: ٦٥ - ٧٠، أي لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر وباطنها غير ذلك²، وقبل موسى — عليه السلام — الشرط: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ٧١ الكهف: ٧١، فلم يكتف موسى عليه السلام بالسؤال، بل تعدى إلى اللوم والحكم على موقف معلّمه، واكتفى الخضر بتذكيره: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٢ الكهف: ٧٢ واعترف موسى بخبطه الذي كان بسبب النسيان: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾

¹ المرجع نفسه، ص 43.

² عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المّان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1429هـ، 2000م، ص 481.

﴿٧٣﴾ الكهف: ٧٣، وفي التجربة الثانية كان الدرس أصعب من الأول ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٤﴾ الكهف: ٧٤، وأعاد الخضر تأكيده لموسى ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾ الكهف: ٧٥، في هذه المرة لم يكن موسى ناسيا بل قاصدا أن ينكر المنكر الذي لا يصبر على وقوعه، لأن الغلام في نظره بريء، ولأنه لم يبلغ الحلم ولم يرتكب ما يوجب القتل، وما كان من موسى بعد أن ذكره الخضر إلا أن قال: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ الكهف: ٧٦، وتأتي التجربة الثالثة التي أفاضت الكأس ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾ الكهف: ٧٧ - ٧٨، وانتهت هذه الرحلة مع هذه الدروس الشاقة ومع هذا الأستاذ الذي زوده الله تعالى ببعض من علم الغيب الذي وصفه بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾ الكهف: ٦٥، ورغم أن الخضر قرر الفراق، إلا أنه لم يترك أعماله غامضة فقد وضّحها، وهذا دليل علمه وأمانته.

وحتى يتأكد موسى عليه السلام من صحّة النتائج وتفسيرها، يخبره الخضر أن ما قام به ليس من اجتهاده الخاص: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾ الكهف: ٨٢، قال ابن كثير رحمه الله: "أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة... وما فعلته عن أمري أي لكّني أمرت به ووقفت عليه".¹

النموذج الرابع: الحوار بين أهل الجنة وأهل النار

إذ الحوار لثلاثة أطراف: أهل الجنة، أهل النار، أصحاب الأعراف، على اختلاف في بينهم، فبدأ الحوار بأصحاب الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 113.

الأعراف: ٤٣، ثم يتوجهون إلى أصحاب النار: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُم أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٤.¹

وهنا يظهر صوت أصحاب الأعراف متوجهين لأصحاب الجنة: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ الأعراف: ٤٦.

ثم ينتقل الحوار إلى أصحاب النار: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ الأعراف: ٤٧ - ٤٩

وتأتي خاتمة الحوار ندما يوم لا ينفع الندم: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ الأعراف: ٥٠.

ويأتي التبكيت من أهل الجنة مع الحرمان أليما: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنِنَا يُجْحَدُونَ﴾ ﴿٥١﴾ الأعراف: ٥٠ - ٥١.²

بعد هذا العرض السريع للحوار في القرآن الكريم، وبالنظر إلى باقي الأنبياء والرسل وما دار معهم من حوارات في كثير من الآيات القرآنية، يمكننا أن نقرر بدون أي تردد أن القرآن الكريم كتاب حوار لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الحوار مشروع إسلامي، فالله عز وجل يحاور من قبل ملائكته في مشهد رائع، يتجلى فيه الحلم الرباني، وهما هو حوار إبليس مع الله عز

¹ أحمد عوض، فقه الحوار في ضوء السنة النبوية، ص 43.

² المرجع نفسه، ص 44.

وجلّ في مشاهد متعدّدة، ثمّ هاهم الأنبياء يحاورون ربّهم في مناسبات كثيرة، هذا وقد أشار كثير من الباحثين على أنّ الفعل: "قال" ومشتقاته وردت في القرآن أكثر من ألف وسبعمائة مرة (1700)، ممّا يدل على المساحة الكبرى التي تحتلّها المشاهد الحوارية في القرآن الكريم.¹

وبهذا يتأكّد لنا أنّ القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على أسلوب الحوار في توضيح المواقف وجلاء الحقائق وهداية العقول وتحريك الوجدان واستشاعة الضمير وفتح المسالك التي تؤدّي إلى أحسن التلقّي والاستجابة والتدرج بالحجّة، احتراماً لكرامة الإنسان، وإعلاءً لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع عن بيّنة ونور، وقد أتى هذا النوع من الحوار أكله وحرّك في العقول والقلوب أثره. فالقرآن الكريم هو الذي يجب أن يدرس دراسة واعية لنجد فيه الوثيقة الرائعة من وثائق الحوار الديني.

وقد كان القرآن الكريم في حياة المسلمين يمثّل المدرسة التي انطلق منها النبي ﷺ وأصحابه — رضوان الله عليهم — في الأساليب المتنوعة للحوار والدروس العلمية التي تجسّد وصول الحوار إلى هدفه التربوي وغيره من الأهداف.

لذا يجب على المؤمن أن يعتمد أسلوباً ومنهجاً في تبليغ دينه، قال الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣. ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ الإسراء: ٥٣. ﴿ وَهُدُوا إِلَى طَيِّبٍ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴾ الحج: ٢٤. ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه: ٤٤. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ توتّى أكلها كلّ حينٍ بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٦.

¹ سعد الدين العثماني، في فقه الحوار، منشورات الفرقان، ط 1، 1993، ص 19.

المفصل الأول:

مظاهر الحوار في السنة النبوية

المبحث الأول: الحوار مع المسلم المخالف

المطلب الأول: الحوار بين العلماء

المطلب الثاني: الحوار في مجال التعلم

المطلب الثالث: الحوار مع العوام

المطلب الرابع: الحوار في الفتن والنوازل

المطلب الخامس: الحوار في باب السياسة الشرعية

المبحث الثاني: الحوار مع غير المسلم

المطلب الأول: الحوار مع اليهود

المطلب الثاني: الحوار مع النصارى

المطلب الثالث: الحوار مع المنافقين

المطلب الرابع: الحوار مع المشركين

المبحث الثالث: الحوار مع المسلم غير المخالف

المطلب الأول: الحوار مع النساء عموماً

المطلب الثاني: الحوار مع أمّهات المؤمنين

المطلب الثالث: الحوار مع الشباب

المطلب الرابع: الحوار النبوي مع الأطفال

تمهيد:

إنه من الملاحظ أثناء تتبع الأحاديث النبوية في كتب السنة أن الحوار كان له النصيب الأوفر في مواقف النبي ﷺ أثناء تعامله مع غيره من المسلمين وغير المسلمين من الكفار والمنافقين، إذ أنه قد حاور كل أصناف المجتمع، وذلك لطبيعة الرسالة ومتطلباتها، وفي هذا الفصل — بإذن الله — سأبين فعالية الحوار النبوي، وذلك من خلال عرض واستحضار بعض المواقف التي تجسّد ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى أبين أن النبي ﷺ لم يقتصر في حوارهِ على فئة دون أخرى بل اشتمل حوارهِ جميع فئات المجتمع، إذ كان نتيجة ذلك أن ترى معه الفقير والغني والصغير والكبير والرجل والمرأة، وترى ممن آمن الحبشي والفارسي والعربي والرومي.

المبحث الأول: الحوار مع المسلم المخالف

قد يقع الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم فيتوجهون إلى النبي ﷺ لإزالة هذا الخلاف، وذلك بطرح المسألة التي اختلف فيها، متأدّين في ذلك مع معلّمنا محمد ﷺ، فيقوم النبي ﷺ بفتح المجال أمامهم ليشاركوه بأنفسهم حلّ هذا الخلاف ليكون بعدها أوقع في أنفسهم، هذا إن كان في عهده ﷺ، أمّا إن كان بعد ذلك فما على الصحابة إلّا أن يقوموا ببسط المسألة وذلك بعرض ما لدى كلّ واحد منهم من رأي، ليقرّروا في الأخير ويتفقوا على ما وافق عموم ماجاءت به الأدلّة من الكتاب والسنة، يحدث ذلك كلّ في جوّ من الحوار الذي يتسم بالهدوء والراحة والبعد عن الصخب ورفع الصوت، والذي إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على ذلك الرقيّ الذي يتحلّى به الأسلوب النبويّ الرشيد في تبليغ شرع الله عزّ وجلّ، والذي سار على نهجه الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، وتحت هذا العنوان سأعرض — بإذن الله — بعض الأمثلة التي تدلّ على حرص النبي ﷺ على الحوار في إزالة الخلاف واقتداء الصحابة رضي الله عنهم من بعده في ذلك.

المطلب الأول: الحوار بين العلماء

بتتبع الأحاديث والآثار في السنة النبوية نجد أن الحوار كان بين أكابر الصحابة الذين كان الاعتماد عليهم في المسائل العظام، هؤلاء الذين هم بمثابة العلماء الربانيين آنذاك وحتى اليوم، وهذا ما نلمسه فيما يرويه البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر ابن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقرء بالمواطن¹ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إئتك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والعصب² والخفاف³ وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه.⁴

والتأمل في هذه المحاورة يلحظ ما يلي:

- أن موضوع الحوار كان في حفظ المصالح الكلية للشريعة، فإن جمع القرآن في ذلك الوقت كان من خير ورث الشريعة، وهكذا الحوار بين العلماء يدور حول حفظ مقاصد الشريعة

¹ المواطن: المشهد من مشاهد الحرب: انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج4، ص1398.

² العصب: جمع عسيب: وهو جريد النخيل، كانوا يكتبون في الطرف العريض منه، انظر الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ، ج2، ص361، وغريب الحديث للهروي، ج1، ص151.

³ اللخاف: جمع لحفة: وهي صفائح الحجارة الرقاق، انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج4، ص1259.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، رقم 4402، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، سورة التوبة، رقم: 1303.

ومصالحها الكلية.

- انتهج أطراف الحوار أسلوب التشاور في بحث القضية.

- اختيار التخصص العلمي، حيث أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه دون غيره من الصحابة لما يتميز به من دراية وعلم في هذا الباب.

- تكرار الحوار والمراجعة في القضية الواحدة، فقد قال أبو بكر رضي الله عنه: " فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك".

- حرص زيد بن ثابت رضي الله عنه على تنفيذ ما آل إليه الحوار من نتائج، لهذا قال "فقمتم فتنبت القرآن أجمعه" وهذا يدل على المبادرة إلى الفعل والمصارعة إليه والحرص على تنفيذ ما اتفقا عليه من توصيات.¹

— أن الحوار بين العلماء العاملين والدعاة الربانيين حوار هادئ فهو وسيلة من وسائل استحضار العلم ومعرفة دقائقه، حيث دار بين أبي بكر وعمر وزيد — رضي الله عنهم — حوار حول مسألة جمع القرآن ليتفقوا في الأخير على جمعه.

— مناظرة عمر بن الخطاب لأبي عبيدة - رضي الله عنهما - في القدر: روى البخاري رحمه الله - عن عبيد الله بن العباس - رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ² لقيه أمراء الأجناد - أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه - فأخبروه أن الوباء قد وقع في أرض الشام، فنأدى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرار من قدر الله! قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرايت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداها خصبة جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله.³

¹ عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ص 109.

² سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه وغين معجمة والغين لغة فيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام، وقال مالك بن أنس:

هي قرية بوادي تبوك. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، حرف السين ج 5، ص 36.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم 5397، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم: 2219 ومالك بن أنس في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في الطاعون، رقم: 1587.

قال الحافظ ابن عبد البر¹ - رحمه الله -: " وفيه دليل على أن الإمام والحاكم إذا نزلت به نازلة لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة كان عليه أن يجمع العلماء وذوي الرأي ويشاورهم، فإن لم يأت واحد منهم بدليل كتاب ولا سنة غير اجتهاده، كان عليه الميل إلى الأصلح والأخذ بما يراه.... وفيه دليل على إثبات المناظرة والمجادلة عند الخلاف في النوازل والأحكام، ألا ترى إلى قول أبي عبيدة لعمر - رحمه الله تعالى - نفرّ من قدر الله تعالى، فقال: نعم، أفر من قدر الله إلى قدر الله، ثم قال له: أرايت، فقايسه وناظره بما يشبهه في المسألة...."².

فالذي يمكن أن نستنتجه تحت هذا العنوان أن الحوار بين العلماء العاملين والدعاة الربانيين حوار هادئ، فهو وسيلة من وسائل استظهار العلم ومعرفة دقائقه، وهذا الذي لاحظناه في المثالين السابقين.

المطلب الثاني: الحوار في مجال التعلم

لقد حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على المذاكرة في العلم والمباحثة في مسائله، والتلطف في استكشاف الصواب، والتأدّب في السؤال والجواب، والوقوف على الدليل وترك الخصومات ومالا فائدة فيه، لذا تلاحظ أن غالب مناظرات الصحابة مع بعضهم البعض هي من قبيل المناظرات العلمية النافعة، وهي تدور على بيان الشريعة والحرص على تعلّم أدلتها وأحكامها والأمثلة على ذلك كثيرة سأكتفي بذكر مثالين:

— روى مسلم - رحمه الله - عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة، وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستنّ، قال: فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال: نعم، فقلت لعائشة: أي أمته؟ ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: وما يقول؟ قلت: يقول: اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمرى ما اعتمر

¹ ابن عبد البر: أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها، ولد سنة 368هـ، ألف في شرح الموطأ كتابا مفيدة منها: التمهيد، الاستذكار، توفي سنة 463هـ.

² ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1378هـ، ج8 ص 368.

في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وإتي لمعه، قال: وابن عمر يسمع فما قال: لا ولا نعم، سكت.¹
يدلّ هذا النوع من الحوار في مجالس الصحابة على تفقه الصحابة في طلب العلم من جهة،
وعلى أسلوبهم في الحوار من جهة أخرى، فهذا الحوار يعدّ نموذجاً للحوار التعليمي القائم على
السؤال والجواب وإحياء المجالس العلمية للمذاكرة في العلم والمناقشة في مسائله، والسؤال عمّا
يشكل.

- قول عروة بن الزبير لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن، وقوله لعائشة: أيّ أمّاه، أدب
جَمٍّ، وحسن مخاطبة، وطيب كلام مع من يسأله وهذا يدلّ على عظيم الاحترام المتبادل بين
الصّحابة، وحرص كلّ واحد منهم على احترام الآخر ومناداته بأحبّ الأسماء إليه، قال الحافظ
ابن حجر² - رحمه الله -: "ذكرته بكنيته تعظيماً له، ودعت له إشارة إلى أنّه نسي".³

- عدم تعنيف المخطئ بل مخاطبته بالحسنى والحرص على تعليمه من غير اتّهامه بالجهل
والقصور، لذا قالت عائشة: "يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري ما اعتمر في رجب".

- سكوت ابن عمر على إنكار عائشة يدلّ على احترامه للحقّ والوقوف عنده وعدم تجاوزه
إلى غيره، وعدم المراجعة في الحوار من غير طائل لأنّ ذلك يفتح باب الجدل والمراء، يقول النووي
- رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث: "وأما قول ابن عمر: إنّ إحداهنّ في رجب، فقد أنكرته
عائشة وسكت عمر حين أنكرته، قال العلماء: هذا يدلّ على أنّه اشتبه عليه أو نسي أو شكّ
ولهذا سكت عن الإنكار على عائشة ومراجعتها بالكلام".⁴

- أنّ الوهم والنسيان والخطأ أمور تطرأ على الأفاضل من أهل العلم، ولا يكون قدحا فيهم،
قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فوائد هذه المحاور: "وفي الحديث أنّ الصحابي الجليل

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب كم أعتمر النبي ﷺ رقم: 1775، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب
عدد عمر النبي ﷺ وزمانه، رقم 1255.

² ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني الأصل، المصري المولد نزيل القاهرة، ولد سنة 773
هـ، نشأ يتيماً، وقد اثر من التآليف والتصانيف المفيدة حتى زادت على مائة وخمسين تصنيفاً، توفي عام 852 هـ، انظر
الجواهر الدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني، ص: 46، وانظر رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني،
ص 62.

³ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مج 5، ص 17.

⁴ النووي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط 2، ج 8، ص 176.

المكثر شديد الملازمة للنبي ﷺ قد يخفى عليه بعض أحواله، وقد يدخله الوهم والتسيان لكونه غير معصوم... وفيه حسن أدب الردّ وحسن التلطف في استكشاف الصواب إذا ظنّ السامع خطأ المحدث.¹

2 — حوار مسروق لعائشة رضي الله عنهما في رؤية النبي ﷺ ربّه ليلة المعراج:

روى مسلم — رحمه الله — عن مسروق رضي الله عنه أنّه قال: كنت متّكئاً عند عائشة — رضي الله عنها — فقالت: يا أبا عائشة، من تكلم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هنّ؟ قالت: من زعم أنّ النبيّ ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متّكئاً فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزوجل: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ النجم: ٧، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ النجم: ١٣، فقالت: أنا أوّل هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنّما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيتُه منهبطاً من السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء والأرض" فقلت: أو لم تسمع أنّ الله يقول ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ١٠٣، أو لم تسمع أنّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ عَسِيمٍ﴾ الشورى: ٥١، قالت: ومن زعم أنّ رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧، قالت: ومن زعم أنّه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥.²

المتأمل لهذه المحاوره يلاحظ أنّ عائشة رضي الله عنها قد أثارت مسألة علميّة بقولها: من

¹ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مج5، ص13.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم: 4855، و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قوله عزوجل: "ولقد رآه نزلة أخرى" و هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، رقم 287.

تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، وهذا حتى تلفت مسروق رضي الله عنه إلى الحديث والمناقشة، حيث استجاب على الفور ووجه إليها سؤالاً بقوله: ما هن ؟

- المحاورة دلت على فضل عائشة - رضي الله عنها - وقدرتها على الاستدلال بالقرآن المفسر بالسنة وطريقتها في ردّ الشبه والأدلة الضعيفة.¹

- رأت عائشة رضي الله عنها أن تلقي المسألة التي تريد أن توصلها إلى مسروق رضي الله عنه عن طريق الأخذ والردّ في الكلام لا عن طريق التلقين، وذلك لما لهذه الطريقة من فائدة ترجى منها، وهي أنها تكون أبلغ في نفس المتلقي.

- الاستعداد للحوار والتهيؤ له، يقول مسروق: وكنت متكئا فجلست....

- طلب مسروق من عائشة - رضي الله عنهما - أن تعطيه فرصة في الكلام وأن لا تتعجل عليه في الحكم والجواب.

المطلب الثالث: الحوار مع العوام

للحوار مع العوام نصيب في السنة النبوية، إذ نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهمل العوام، بل حاورهم وجلس معهم حتى يبين لهم أمور دينهم فيلتزموا الطريق المستقيم، وهذا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها، قال: حمر، قال: هل فيها من أورك؟²، قال: نعم، قال: "فمن أين ذلك؟" قال: لعله نزعه عرق، قال: "فلعل ابنك هذا نزعه."³

إذ يستفاد من هذه المحاورة التي دارت بين النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل:

- فضّل النبي صلى الله عليه وسلم أن يحاور الرجل، ذلماً عرض عليه شبهته، وذلك بقوله: هل لك من إبل؟ بدل أن يقول له: الولد للفراش، وهذا حتى يقتنع الرجل في الأخير وتزول عنه الشبهة نهائياً.

¹ عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ص 105.

² أورك: الذي فيه سواد وليس بصاف، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: على الحلبي، ص 968.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم 4999 ومسلم في صحيحه كتاب اللغات، رقم: 1500 وابن ماجه، في سننه، كتاب النكاح، باب الرجل يشك في ولده، رقم 2002 وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق باب إذا شك في الولد، رقم 2262 والترمذي في سننه، كتاب الولاء والهيبة، باب فيمن تولى غير مواليه، أو ادعى إلى غير أبيه، رقم 2128 والنسائي في سننه، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بامرأته وشك في ولده وأراد الانتفاء منه، رقم 5674.

-الإقناع والتدرج ومراعاة الحال والنظر إلى المال أسس مهمة عند محاوراة العوام من الناس، إذ لا تزول الشبهة عن قلوب الناس إلا من حيث دخلت، وقد كان ﷺ يزيل الشبهة من حيث دخولها.

— أن الرجل استغرب بقلبه أن يكون هذا الغلام منه لا أنه نفاه عن نفسه بلفظه.¹ أي إن الرجل قد وردت عليه شبهة، فاستعمل معه النبي ﷺ أسلوب الحوار حتى يزيل عنه ما وجدته في قلبه، وذلك بأسلوب بسيط يتناسب وحال هذا الرجل، فالنبي ﷺ علم أن الشبهة قد دخلت عليه وأنه قد وقع عنده أن زوجته أتت به من غيره، ولو قال له النبي ﷺ هو ابنك، الولد للفراش، لم تزل عنه الشبهة، فعدل عن ذلك، وقال له: هل لك من إبل، قال: نعم..... الحديث.

المطلب الرابع: الحوار في الفتن والنوازل

الحوار في الفتنة كثيرة، نختار منها قصة الإفك لشهرتها، ولما فيها من فوائد شرعية ودعوية. ذكرها شراح الحديث، فهي قضية مبسطة في كتب الحديث والتفسير.

روى مسلم - رحمه الله - عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن أبي وقاص وعبيد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة - رضي الله عنها - : "فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أمّ مسطح في مرطها² فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا قالت: أي هنتاه³ أو لم تسمعي ما قال، قالت: قلت: وما قال، فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله ﷺ - تعني سلم - ثم قال: كيف تيكمن؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتبين الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنيّه هوّني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبّها، ولها ضرائر إلا أكثرنّ عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدّث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة

¹ النووي ، شرح صحيح مسلم، ج10، ص106.

² مرطها: بكسر الميم، وهو كساء من صوف وقد يكون من غيره، انظر غريب الحديث للهروري، ج1، ص227، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثر، ج4، ص1311.

³ هنتاه: معناه يا هذه، وقيل يا امرأة، وقيل يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة. بمكايد الناس وشروهم، أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص1550.

حتى أصبحت لا يرقأ¹ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك، والتساء سواها كثير إن تسأل الجارية تصدّك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قطّ أغمصه² عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الدّاجن فتأكله.³

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في ذكر فوائد هذا الحديث: " وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحّته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه، هل وقع منه قبل ذلك معروفا بالخير إذا لم يظهر ما يخالف ذلك والتوقف في خبر الواحد، ولو كان صادقا وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين، وأنّ خبر الواحد إذا جاء شيئا بعد شيء أفاد القطع لقول عائشة: لأستيقن الخبر من قبلها وأنّ ذلك لا يتوقف على عدد معيّن⁴، وفيه: " استحباب مشاورة الرجل أهل بطانته وأهله وأصدقائه فيما ينوبه من الأمور... وفيه المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات، وتسكين الغضب..."⁵

ويدخل تحت هذا العنوان حوار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع الدّعاة في الفتنة حيث يروى البخاري - رحمه الله - عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل حجّ البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش فقال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه، فقال: إنّي سائلك عن شيء أتحدثني؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أعلم أنّ عثمان بن عفان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنّه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: فكبر، قال ابن عمر: تعالى لأخبرك ولأبين لك عمّا سألتني عنه، أمّا

¹ يرقأ: ينقطع، انظر: شرح التّووي على مسلم، ج 17، ص 99.

² أغمصه: بفتح الهمزة وكسر الميم أي: أعيها، انظر: شرح التّووي على مسلم، ج 17، ص 99.

³ البخاري صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: " إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا" إلى قوله "الكاذبون" النور 12، رقم: 4750 ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم 2770.

⁴ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 8، ص 480.

⁵ التّووي، شرح التّووي على مسلم، ج 17، ص 103.

فزاره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر، فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: "إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا ومهمه" وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ بيده: "هذه يد عثمان" فضرب بها على يده فقال: "هذه لعثمان" اذهب بهذا الآن معك.¹

والذي نستنتجه من هذا الأثر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قد فهم مقصد السائل ومراده فأجابه بحسب حاله، ليقول له في الأخير: اذهب بهذا الآن معك.

المطلب الخامس: الحوار في باب السياسة الشرعية

القضاء والسياسة فرعان من فروع الشريعة، لذا نجد النبي ﷺ يوليها اهتماما في تبليغ دعوته ومن بعده الصحابة - رضوان الله عليهم - وتحت هذا العنوان أحاول بإذن الله تعالى أن أعرض مثالين أظهر من خلالهما مظهرا من مظاهر الحوار في مجال السياسة الشرعية ألا وهما: المناظرة في سقيفة بني ساعدة، والآخر: حوار الصحابة مع عمر في تأخير البيان إلى وقت الحاجة:

— حوار الصحابة مع عمر في تأخير البيان إلى وقت الحاجة:

روى البخاري - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت أقرئ عبد الرحمن ابن عوف، فلما كان آخر حجة حجها عمر، فقال عبد الرحمن بمعي: لو شهدت أمير المؤمنين، أتاه رجل قال: إن فلانا يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانا، فقال عمر: لأقومن العشيّة فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغضبوهم، قلت: لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاك الناس يغلبون على مجلسك فأخاف أن لا يتزلوها على وجهها، فيطير بها كل مطير، فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة، فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فيحفظوا مقاتلك ويتزلوها على وجهها، فقال: والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة فقال: إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل آية الرّجم.²

دلّت هذه المحاورة على أهمية أن يتخير الأمير الوقت الذي يكون فيه البيان والتحذير مناسبا،

¹ — البخاري صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: "الذين تولوا منكم يوم التقى....." رقم: 1491 والترمذي في سننه كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان، رقم: 3706.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ... رقم 7323.

وأن يراعي أحوال المخاطبين وخاصة إن كانوا من الرعايا.

- أن الشريعة جاءت بجواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة أو المصلحة وأن من المسائل مسائل جوابها السكوت.¹

وقد بين هذا المعنى الشاطبي - رحمه الله - فقال: "ليس كل علم يث وينشر، وإن كان حقاً، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماً ما تكلم فيها ولا حدث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة فإن صحّت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها وإما على العموم إن كانت ممّا تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية."²

- الحوار في سقيفة بني ساعدة:

روى البخاري - رحمه الله - عن عائشة رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر ﷺ بالسنح³، قال إسماعيل: يعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثه الله فليقطع أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله قال: بأي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الخالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر، جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا ما كان بعد محمد ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: «إنك ميت وإنهم ميتون» الزمر 30، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

¹ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تـ: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط 3 1426هـ/2005م، ج 20، ص 59.

² إبراهيم الشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1 1417هـ/1997م، ج 5، ص 172.

³ السنح: منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وفيه نزل أبو بكر الصديق، وبينه وبين منزل النبي ﷺ ميل.

﴿١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤، قال: فنشج الناس ليكون قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلّم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلّا أنّي قد هيأت كلاماً قد أعجبتني خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثمّ تكلم أبو بكر فتكلّم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعرهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباد، فقال عمر قتله الله.¹

حيث ظهر جلياً خلال هذه المحاور أخلاق الرعيل الأوّل في التعامل مع الغير وأسلوبهم الحكيم في الخطاب وطريقتهم ومنهجهم في تحصيل الصواب، بل ومسلكتهم الشرعي في العلم والعمل، قال الحافظ بن حجر— رحمه الله — في فوائد حادثة السقيفة: "وفيه دليل على أنّ من خشي من قوم فتنة وأن لا يجيبوا إلى امتثال الحقّ أن يتوجّه إليهم ويناضهم ويقم عليهم الحجّة".²

— أن العالم الفاضل قد ينسى أحيانا بعض الأدلة والمقدّمات، وتفوته في الحوار بعض المسائل، فإنّ عمر بن الخطاب رجع عن ذلك، وقد كان قد علم الآية، ولكنّه نسيها لعظم الخطب الوارد عليه.³

— الذي يتصدّى للحوار في التّوازل من كانت له أهلية تقرير المصالح والمفاسد وله إحاطة بدلائل الشّرع وتفصيله، وملكة على استنباط الأحكام وتزيلها على الواقع، ومن له قوة يقين... وثبات على الدين، فكانت هذه الخصال وغيرها مجموعة في أبي بكر ﷺ وقد عرف

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، رقم 3667 والبهيقي في سننه، كتاب قتل أهل البغي، باب الأئمة من قريش، رقم 1613 وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ، رقم 1627.

² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج12، ص 155

³ ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجمعية المعطلة، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418 هـ 1998، ج2 ص525.

عمر رضي الله عنه ذلك وسكنت نفسه إليها " فلما تكلم أبو بكر جلس عمر".

- بدأ الصديق رضي الله عنه حوارَه بذكر الألفاظ الجامعة والمقدمات العلمية والاستدلال لها بالمحكم من التزليل، فجمع كلامه بين حسن التقعيد وقوة الاستدلال وقد تأسى السلف في مناظرهم وتصانيفهم بهذه الطريقة العلمية، فقد غلب على كلامهم البدء بالجمل الجامعة والاستدلال النقلي لها، قال عبد الله القرطبي¹: "وتجادل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم السقيفة وتدافعوا وتقرروا وتناظروا حتى صدر الحق في أهله".²

- هذه المناظرة في السقيفة لا تصنف في باب النزاع والتضاد بل هي محاورة ومشاورة ومباحثة، لأنهم ما انفصلوا حتى اتفقوا ومثل هذا لا يعدّ نزاعاً.

- وقد دلت بمنطوق ألفاظها على أدب أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رضي الله عنه - في الحوار على ما جبل عليه من الحزم في أخذ الحق والقوة في تنفيذه وأدبه في هذه المناظرة ظهرت من خلال سكوته عند تكلم أبي بكر وحرصه على الإصغاء لقوله والوقوف عنده وكان حريصاً على أن يتكلم كلاماً إلّا إذا وزنه في نفسه قبل التكلم به، وكان يحرص على مخاطبة أبي بكر رضي الله عنه بأحسن الألفاظ وأجمل العبارات، ومع ذلك كان عمر سباقاً مبادراً إلى الأخذ بنتائج الحوار والمتمثل بعقد البيعة لخليفة المسلمين بعد نازلة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.³

¹ القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين محدث من أهل قرطبة بالأندلس، من كتبه الجامع لأحكام القرآن في عشرين جزءاً يعرف بتفسير القرطبي، قمع الحرص بالزهد والقناعة، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكار في أفضل الأذكار، والتذكرة لأحوال الموتى وأحوال الآخرة، التقريب لكتاب التمهيد، انظر الاعلام، ج5، ص322، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مج3، ج5 ص335.

² أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، ج3، ص286

³ ابن تيمية، مناهج السنة النبوية، ت: محمد رشاد سالم، ط1، مؤسسة قرطبة، ج1، ص63.

المبحث الثاني: الحوار مع المخالف غير المسلم

تبين لنا فيما سبق أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد استعملوا أسلوب الحوار في تبليغ رسالتهم إلى بني البشر، فدخلوا مع خصومهم في حوار متشعب القضايا، تحدّى به الأنبياء جهل أولئك الخصوم وضيق أفقهم حين أثاروا حولهم القضايا التي تشغل عقل الإنسان، سواء تعلّق الأمر بطبيعة خلقه أو بالحكمة من وجوده أو مصيره بعد موته، ليأتي بعدهم خاتمهم محمد ﷺ لينتهج هو الآخر منهج إخوانه الذين سبقوه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في التعامل مع من اعترض دعوته إلى الطريق المستقيم الذي أمره الله عزّ وجلّ بالاستقامة عليه هو ومن تاب معه من المؤمنين ؛ حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ ﴾ هود: ١١٢ فما كان عليه ﷺ أمام هؤلاء المعارضين إلّا أن يدعوهم إلى الإسلام عن طريق إثارة قضايا وتقديم استفسامات تلفت عقولهم إلى التفكير فيما يدعو إليه من حق، حيث كانت هذه الأخيرة بمثابة القواعد التي أرسى عليها مبدأ الحوار معهم فدعاهم إلى التأمل إلى هذا الكون واستفهم من خلقه، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ٦١ ﴾ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له؛ إنّ الله بكلّ شيءٍ عليمٌ ﴿ ٦٢ ﴾ ولئن سألتهُم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴿ ٦٣ ﴾ العنكبوت: ٦١ - ٦٣.

والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة تحت هذا الباب تبين لنا بوضوح حقيقة هذا المعنى وتحليله لكلّ منصف عاقل يتفحص أحاديث النبي ﷺ ومواقف الصحابة - رضي الله عنهم - بكلّ موضوعية.

المطلب الأول: الحوار مع اليهود

إذ كان من عادة اليهود محاولة إيقاع النبي ﷺ في الحرج بكثرة الأسئلة وإثارة الشبه إذ كانوا أهل علم وجدل فكان - عليه الصلاة والسلام - يحاورهم ويجادهم بالتي هي أحسن، فيجيب عن أسئلتهم وإشكالاتهم وشبههم التي يثيرونها، كلّ ذلك في غاية ما يكون من الحسنى

ولين الكلام وقوة الحجّة¹ ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدّثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود قال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله! فقال اليهودي: إنّما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: "إنّ اسمي محمد الذي سمّاني به أهلي"، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: "أينفعك شيء إن حدّثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: "سل"، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: "هم في الظلمة دون الجسر" قال: فمن أولّ الناس إجازة؟ قال: "فقراء المهاجرين"، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: "زيادة كبد النون"، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: "ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها"، قال: فما شراهم عليه؟ قال: "من عين فيها تسمّى سلسبيلاً" قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلاّ نبيّ أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدّثتك؟ قال: "أسمع بأذني"، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مَنِيّ الرجل مَنِيّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مَنِيّ المرأة مَنِيّ الرجل آتتا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنّك لنبّي، ثم انصرف، فذهب، فقال رسول الله ﷺ: "لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به."²

وفي هذا الحديث من أدب التجاوز عن المخالفات غير الجوهرية التي قد تعيق الهدف الأساس من الحوار كما فعل النبي ﷺ عن جفاء اليهودي وغلظته³ وفيه من أدب التعلم أنّه يجدر بطالب العلم أن ينتبه إليها، وهي السؤال عمّا ينفع والعمل بما يعلم، لقوله ﷺ: أينفعك شيء إن حدّثتك؟ فهذا من أدب التعلم والحوار الذي يتأدّب به المتعلّمون⁴.

¹ محمد بن إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص 187 بتصرف يسير .

² البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى... رقم: 3151 وكتاب فضائل الصحابة، باب كيف أذى النبي ﷺ رقم: 3729 وكتاب التفسير، سورة البقرة، رقم: 4210 وكتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم 3329 وكتاب مناقب الأنصار، باب حدثني حامد بن عمر رقم: 3938 ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الحيض، باب بيان صفة مَنِيّ الرجل والمرأة وأنّ الولد مخلوق من مائهما، رقم: 315.

³ السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، رابطة العالم الاسلامي، ص 166.

⁴ المرجع نفسه، ص 167 بتصرف.

فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يُلزم أهل الكتاب بما في كتبهم من العلم، وينعى عليهم مخالفتهم لما جاءت به رسلهم، وكانوا لعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة تشتمل على شيء من الدقة والمعرفة وإن كانوا ضالّين، والخبير اليهودي في هذا الحديث حاور النبي ﷺ وقد دار في خلده أن النبي ﷺ لن يستطيع الإجابة عن أسئلته، غير أن ظنه لم يكن في محله حيث أجابه النبي ﷺ عن تلك الأسئلة.¹

ومثل هذا ما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: قل يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه فقلت فلما انجلى عنه قال: ﴿وَسْأَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥، قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.²

— الحوار مع اليهود في حدّ الزاني:

روى مسلم — رحمه الله — عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرّ على النبي ﷺ يهودي محمّما مجلودا فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: "هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟" فقالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم، فقال: "أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى؟ أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟" قال: لا، ولولا أنك نشدني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثير في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، قلنا: تعالوا فلنجمع على شيء نقيمه على الشريف والضعيف، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم إني أولّ من أحيا أمرك إذ أماتوه" فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا

الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ

¹ محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية ص 190.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قوله: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، رقم: 125.

يُرِدُّ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ المائدة: ٤١، ويقول: إئتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفاتكم بالرحم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ المائدة: ٤٤، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ المائدة: ٤٧، في الكفار كلها.¹

الذي يستفاد من هذا الحديث أن الحوار مع مثل هؤلاء القوم يقوم على إلزام الخصم بما يعتقد به إن كان صحيحاً، لهذا بادر النبي ﷺ إلى سؤالهم: "و هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم" قال الإمام النووي -رحمه الله-: "هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم."²

- عندما يكون الحوار يتعلق بأصول الدين وتشريعاته، فيتعين البدء بالحوار مع العلماء المتخصصين وهذا أساس مهم في احترام التخصص والبدء مع العارفين بموضوع الحوار دون غيرهم، فمحاورة العامة من الكفار في قضايا لا علم لهم بها أمر لا جدوى منه، وهذا ظاهر في هذا الحديث: فدعا رجلاً من علماءهم.

- يكشف هذا الحوار عن خيانة من خيانات اليهود وما أكثرها، حيث بدّلوا أحكام التّوراة، فأقاموها على الضّعيف وتركوا القوي³

- ومما يستفاد من هذا الحديث أيضاً أنّه إذا كان عند الخصم نقاط التقاء مع ما عند المسلم، فالواجب هو الإقرار بهذا الحق وعدم الإكراه، لأنّ النبي ﷺ لم ينكر ما عند خصومه من نقاط التقاء مع دعوة الإسلام، وذلك لأنّ الإقرار بالحق في بعض المواقف مع الخصم لا يضعف من مركز الإسلام، بل إنّ ذلك قد يكون وسيلة من وسائل دعم الحق الذي نقرّ به عند خصوم الإسلام فنستطيع أن نقهر الباطل الذي يدافعون عنه.

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة، رقم: 1700، والنسائي في سننه كتاب الحدود، باب إقامة الإمام الحد على أهل الكتاب، رقم 7218 وابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب رجم اليهودي واليهودي، رقم 2558.

² النووي، شرح التّووي على مسلم، ص 208.

³ السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص 163.

إذن فالنبي ﷺ كان يستعمل أسلوب الحوار مع الخصوم من اليهود، وهذا الذي ظهر لنا من خلال هذه الحديث الذي بين أيدينا، "فقد طلب النبي ﷺ منهم أن يعرضوا عقائدهم وأفكارهم، وذلك حتى يسحب منهم بعض الحقائق التي قد تتخذ حجة ضدهم في مواقفهم الباطلة، وهكذا ليصل بهم إلى أحد أمرين: إما أن يستجيبوا للتحدي الذي يكشف واقعهم المنحرف، وإما أن يعترفوا بالحق الذي قد ظهر لهم جلياً في ذلك الموقف وضعف الباطل الذي يعتقدونه."¹

وهذا ما نلمسه أيضاً في الحديث الذي يرويه البخاري - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله تعالى يجعل السموات على إصبع والأرضيين على إصبع والشجر على إصبع، والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الزمر: ٦٧،² قال النووي - رحمه الله -: "ظاهر الحديث أن النبي ﷺ صدق الخبر في قوله أن الله تعالى يقبض السموات والأرضيين بالأصابع، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول."³

فالغاية من حوار المسلم مع خصوم الإسلام أيّاً كان انتمائهم هو نصره الحق بصرف النظر عند من يكون هذا الحق، يقول ابن حزم⁴ - رحمه الله -: "و لا تقنع بغفلة خصمك في كلّ ما يمكن أن يصحّ قوله فإن وجدت حقاً ببرهان فارجع إليه ولا تتردد، ولا ترض لنفسك ببقاء ساعة آتيا من قبول الحق، وإن وجدت تمويهاً فبينه ولا تغترّ بذهاب خصمك عنه، فلعلّ غيره من أهل مقالته يتفطن لما غاب عنه."⁵

¹ ابن يربح، أساليب التعامل مع خصوم الإسلام في ضوء السنة النبوية، إشراف: مطفر شاكر الحياني، جامعة بغداد، 1422هـ، ص51 بتصرف.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "و ما قدروا الله حق قدره" رقم 4533، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم 7075، باب قوله تعالى: « لما خلقت بيدي » رقم 6978 ومسلم في صحيحه، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، رقم 2786.

³ النووي، شرح النووي على مسلم، ج 2، ص 130.

⁴ ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، الفقيه الحافظ المتكلم الأدب، الظاهري، ولد سنة 384 هـ، من كتبه: الحلى، حجة الوداع، توفي عام: 456 هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ج18، ص: 184، وانظر شذرات الذهب ج3، ص 299.

⁵ محمد علي حماية، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983م، ص208.

المطلب الثاني: الحوار مع النصاري

لم يغفل النبي ﷺ النصاري في حواراته، إذ أن طبيعة الرسالة التي أمر بتبليغها تستوجب منه ذلك، " وفي السيرة النبوية ثلاث لقاءات مع هذه الفئة: لقاء المسلمين المهاجرين إلى الحبشة مع النجاشي وحاشيته وأساقفته، ولقاء النبي ﷺ مع عدي بن حاتم، ولقاء النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران ¹ وهنا سأقوم بإيراد اللقاء الأول والثاني.

— الحوار مع وفد نصارى نجران: حيث جاء في صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: "جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: " لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلا عنا نفلح ولا عقبنا من بعدنا"، قالاً: "إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلّا أميناً"، فقال: "لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقّ أمين"، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: "قم يا أبا عبيدة بن الجراح"، فلمّا قام قال رسول الله ﷺ: "هذا أمين هذه الأمة." ²

والذي يستفاد من هذا الحديث أن النبي ﷺ استجاب لطلب هذين النصريين، وذلك بأن يبعث معهما رجلاً يراه أميناً، فوقع منه الإختيار على أبي عبيدة ؓ، يقول بن حجر-رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث ما نصّه: " وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعيّنت مصلحته، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحق... " ³

— تعامل النبي ﷺ مع هذين الوفدين بالحسنى، حيث " أكرم وفادتهما والتزم بأدب الجدل معهم " ⁴، غايته في ذلك إظهار الحق لإقامة الحجّة على مخالفيه لا غير.

—الحوار مع عدي بن حاتم قبل إسلامه:

فقد أورد الإمام الترمذي عن عدي بن حاتم ؓ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام وكان قد تنصّر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله ﷺ على أخته

¹ السيد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص 169.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصّة أهل نجران، رقم: 4380، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح، رقم: 4450.

³ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 7، ص 697.

⁴ السيد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص 175 بتصرف يسير.

وأعطاهما فرجعت إلى أخيها فرغبت في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " قال، فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: " بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ". وقال رسول الله ﷺ: " يا عدي أضررك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ أضررك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه مستبشراً، ثم قال: " إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون " ¹

والذي يستفاد من هذه المحاورة أن النبي ﷺ "أراد بالأسوة الحسنة والفعل المباشر أن يعلم عدياً بعضاً من حقيقة النبوة فهي الرحمة والتواضع للناس والبعد عن زخرف الحياة الدنيا طمعا في وعد الله " ²، "حيث قام النبي ﷺ بتقريب الوسادة إلى عديّ لعلمه بأنه سيّد قومه، فكان لذلك أثره في نفسه" ³، وبعدها فتح باب الحوار معه، كلّ ذلك طمعا في هدايته، وهو ما كان في نهاية هذه المحاورة، حيث استجاب عدي إلى أمر النبي ﷺ، لأنه علم يقينا أنه لا يتكلّم عن هوى، بل هو صادق فيما يقوله، وأصبح بعد ذلك يحدث بحديث إسلامه ليكون عبرة ودرسا للجميع.

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، رقم: 3095، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج 3، ص 247.

² السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص 178.

³ محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص 199 بتصرف.

المطلب الثالث: الحوار مع المنافقين

حيث كان لهذه الفئة المخالفة أيضا نصيب من حوارهِ ﷺ، فرغم كل الأذى والمعاملة السيئة التي كانت تلحقه منهم، ورغم أن الله عز وجل قد أطلعه على ما تكنه سرائرهم من الكفر وما تحمله من حقد للإسلام والمسلمين، حيث كان "القرآن يتزل من عند الله فيفضحهم أولا بأول حتى لا تسري سمومهم في المجتمع المسلم" ¹ رغم كل هذا فالتبّي ﷺ لم يقابل ذلك بالمثل، بل حاورهم وتحمل أذاهم حتى يردّهم إلى جادة الصواب، فغايتة ﷺ أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الأمثلة التي تأكد ذلك ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول.

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فديّة²، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر، حتى مرّ في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر³ عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء! لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال عبدالله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يُخفّضهم، ثم ركب دابته، حتى دخل على سعد بن عباد، فقال: "أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟" يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا، قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة _البلدة _على أن يتوجّوه فيعصّبونه بالعصاة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق⁴ بذلك، فلذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ⁵.

¹ السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص136.

² الإكاف: بكسر الهمزة شبه الرحال والأقتاب، انظر: شرح النووي على مسلم لأبي زكريا النووي، ج3، ص488.

³ عجاجة الدابة: ما ارتفع من غبار حوافرها، خمر: غطاء، انظر: شرح النووي على مسلم لأبي زكريا النووي، ج3، ص488.

⁴ شرق بكسر الراء، أي: غصّ، ومعناه: حسد النبي ﷺ، انظر: شرح النووي على مسلم، ج3، ص488.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، رقم: 6254، ص735، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم: 1798، ج12، ص123.

ومن الفوائد التي تذكر تحت هذا العنوان ما يلي:

- سعة صدر النبي ﷺ وتجاوزه عمّن أخطأ في حقّه، حيث بيّن الحديث "ما كان عليه ﷺ من الحلم والصفح والصبر على الأذى في الله تعالى، ودوام الدّعاء إلى الله تعالى وتألّف قلوبهم".¹

- لم يكن الأذى الذي لقيه النبي ﷺ من رأس المنافقين حينما استقبله بذلك الاستقبال الذي لا يليق بذاته الأشرف ﷺ بمنعه من التزول عن دابّته، وقراءة القرآن عليهم ودعوتهم إلى الله تعالى، بل والأجمل والأهمّ من ذلك أنّه "أعطى الفرصة لمحاوريه، فتقدّمهم عبدالله بن أبي، فقال ما قال للنبي ﷺ، ثم ناداه بنداء المنكر له ولنبوّته، فقال: أيّها المرء، ولم يقل: يا نبيّ الله أو يا أبا القاسم أو يا محمّد".²

- قام النبي ﷺ وانصرف لما رأى من عدم جدوى حوارهِ مع عبد الله بن أبيّ ومن معه، لذا يحسن بالمحاور أن لا يضيّع وقته في حوار من كانوا على شاكلة هؤلاء.

- "لما دخل النبي ﷺ على سعد بن عبادَة يريد أن يخبره بما جرى معه وعبد الله بن أبي، قال: يا سعد ! ألم تسمع ما قال أبو حباب _ يريد عبدالله بن أبي _ قال: كذا وكذا،" فتأمل هذا الأدب الرفيع وهذه النفس الكبيرة وذلك القلب المفعم بالحب والعدل والإحسان... وذلك دليل على مدى تسامحه ورقته ورأفته وسلامة صدره وترفعه..³

- ومما يجدر التنبيه عليه هنا أنّ النبي ﷺ رغم كلّ ما لقيه من قبل عبد الله بن أبي إلّا أنّه عند وفاة الرّجل طلب ابنه قميص النبي ﷺ ليكفّن فيه، أنّه لم يمانع من ذلك، بل ومشى إلى قبره، فلمّا وقف يريد الصلاة عليه وثب إليه عمر بن الخطاب وقال: أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ يعدّد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: أخرّ عني يا عمرُ فلمّا أكثرت عليه قال: "إني خيرت فاحترت لو أعلم أنّي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها"، قال عمر بن الخطاب في نهاية الحديث: فصلّى عليه رسول الله ﷺ، ثمّ انصرف، فلم يمكث إلّا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَى قَبْرِهٖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ

¹ التّووي، شرح التّووي على مسلم، ج 3، ص 489.

² محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص 201.

³ المرجع نفسه، ص 204.

وَرَسُولُهُ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ التوبة: ٨٤، قال: فعجبت بعد من جرأت على رسول الله ﷺ يومئذٍ والله ورسوله أعلم¹. وفي هذا دليل على مدى حلم وصبر وعفو النبي ﷺ على مخالفه، "والتأمل للسيرة النبوية يلحظ أن النبي ﷺ لم يكن ليستعدي أحداً من الناس كائناً من كان، بل كان يخطب الودّ في كافة حوار، وفي أيّ فرصة تسنح له"²

المطلب الرابع: الحوار مع المشركين:

لقد خرج _ عليه الصلاة والسلام _ في بيئة عمّ فيها الشرك والتقرب للأوثان فكانت قبيلة قريش على الشرك، وقد جاء بتلك الدعوة الطاهرة التي تأمر الناس بتوحيد الله وتنهاتهم عن الشرك به فما كان من أولئك القوم إلا أن كذبوه وناصبوا له العدا، فكان يعفو ويصفح ويلقاهم بالجميل ويعرض عليهم الدعوة بوضوح وجلاء³.

وهذا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه مسلم - رحمه الله - عن جابر بن عبد الله أنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاة⁴ "شجر ذو شوك"، فترل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال، وتفرّق الناس في الوادي يستظلّون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: "إنّ رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلاّ والسيف صلتاً⁵ في يده"، فقال لي: من يمنعك مني، قال: قلت: "الله"، قال: فشام السيف⁶، فهذا هو ذا جالس، فلم يعرض له رسول الله ﷺ⁷.

والذي نستنتجه من هذا الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وبين هذا الأعرابي، أنه ﷺ الرحمة المهداة إلى العالمين، رغم أنّ الأعرابي حاول قتله إلاّ أنه ﷺ قد عفا عنه، "لعلّ هذا الموقف يؤثّر في الأعرابي

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار...، رقم: 1366، ص 156.

² محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص 204.

³ المرجع نفسه، ص 205.

⁴ كثير العضاة: كلّ شجرة ذات شوك، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 4، ص 445.

⁵ صلتاً: مسلولا، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 4، ص 445.

⁶ شام السيف: إذا سلّه، وإذا أغمده وهو من الأضداد، وهنا بمعنى أغمده، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج 4، ص 445.

⁷ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكّله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، رقم: 843.

فيسلم، وبذلك ينقذه الله تعالى من النار بإذنه " ¹ فما أخرجنا نحن اليوم إلى مثل هذه المواقف في تعاملنا مع الآخرين.

وهذا ما نلمسه أيضا في الحديث الذي جاء في صحيح مسلم عن ابن شماسه المهري قال: حَضَرْنَا عَمْرُو بن العاص وهو في سبابة الموت، فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابْنُه يقول: يا أبتاه، أما بَشَرَك رسول الله ﷺ بكذا، أما بَشَرَك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إنَّ أفضل ما نُعِدَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، إني كنت على أطباق ثلاثٍ لقد رأيتني وما أحدٌ أشدَّ بغضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحبَّ إليَّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلمَّا جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقلت: ابسط يمينك فلأبائعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: "ما لك يا عمرو؟" قال: قلت: أردتُ أن أشتري، قال: "تشتري بماذا؟" قلت: أن يُعْفَرَ لي، قال: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله؟" وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أُطيق أن أملاً عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سُئِلْتُ أن أصفه ما أطقتُ ؛ لأني لم أكن أملاً عينيَّ منه، ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثمَّ ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مُتَّ فلا تَصْحَبْنِي نائحةٌ ولا نارٌ فإذا دفنتموني فشنّوا عليَّ التراب شنّاً، ثمَّ أقيموا حول قبري قدرَ ما تُنحَرُ جزور ويُقسم لَحْمُهَا حتى أَسْتَأْنِسَ بكم، وأنظر ماذا أراجعُ به رسلَ ربي. ²

والشاهد ههنا ما كان في حوار عمرو للنبي ﷺ لَمَّا أراد الدخول في الإسلام وذلك عندما قال: فقبضت يدي، فقال الرسول ﷺ: "مالك يا عمرو" فإنَّ عمرواً ههنا توقّف وأراد أن يعرف مصير أعماله التي سلفت منه في الكفر فاشتراط أن يغفر له فما كان من النبي ﷺ إلَّا أن أقبل عليه ورغبه في الإسلام وبشّره بأعظم مِمَّا كان يتصور ويبيّن له أن الإسلام والهجرة والحجَّ، كلٌّ أولئك يهدم ما قبله فكان ذلك دافعاً لإقبال عمرو على الإسلام. ³

وهذا ما نلمسه أيضا في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك قال: نهيْنَا أن نسأل رسول الله

¹ السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص153.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحجَّ، رقم: 121.

³ محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص207.

عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله، ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: "صدق" قال: فمن خلق السماء؟ قال: "الله" قال: فمن خلق الأرض؟ قال: "الله"، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: "الله" قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب الجبال ءالله أرسلك؟ قال: "نعم" قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: "صدق"، قال: فبالذي أرسلك ءالله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: "صدق"، قال: فبالذي أرسلك ءالله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا؟ قال: "صدق"، قال: فبالذي أرسلك ءالله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: "صدق" قال: ثم ولي، قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: "لئن صدق ليدخلن الجنة".¹

قام النبي ﷺ بالإجابة عن كل الأسئلة التي كانت من طرف هذا الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة كما بينت بعض الروايات، كل ذلك في غاية من الحلم والصبر، فكانت سببا في دخوله الإسلام.

– حوار النبي ﷺ مع عمرو بن عبسة عند إسلامه:

روى مسلم – رحمه الله – عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة: كنت – وأنا في الجاهلية – أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت إليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا، جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي، قال: أرسلني الله، فقلت: بأي شيء أرسلك، قال: "أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء" قلت له: فمن معك على هذا النحو، قال: حرّ وعبد، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن معه، فقلت: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتحبّر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم نفر من أهل يثرب – من أهل المدينة – فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة،

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قوله تعالى: "وقل رب زدني علما" طه 114، رقم: 63، ص 18 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم 12، ج 1، ص 144.

فقالوا: الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله: أتعرفني، قال: "نعم، أنت الذي لقيتني بمكة"، قال: فقلت، بلى فقلت يابني الله، أخبرني عمّا علّمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟ قال: فقلت: يا نبي الله أخبرني عمّا علّمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟ قال: صلّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنّها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلّ، فإنّ الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلّ الظلّ بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنّه حينئذ تسجر جهنّم، فإن أقبل الفياء فصلّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنّها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد الكفار....."¹.

والذي يستفاد من الحديث:

- النظر إلى حال المحاور الكافر إذا أراد الإسلام وطريقته في البحث عن الحق، لاختيار الأسلوب الذي يتناسب معه.

- الحوار هنا كان بصيغة الجواب والسؤال².

- الناظر في هذا الحديث يرى أنّ النبي ﷺ قد بدأ في بيان مجمل الإيمان قبل الشروع في المفصل، ومراعاة التدرج في عرض موضوعات الفكرة ومسائلها.

- مراعاة حال المحاور إذا كان مستضعفا لهذا قال له النبي ﷺ: "ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإن سمعت بي قد ظهرت فأتني".

- فهذه المحاورة تعدّ منهجا وأسلوبا في دعوة غير المسلم في حال الاستضعاف وعدم إهمال جانب القدرة في هذا الباب، فالتعجّل وتكليف المسلم بما لا يستطيع أمران مذمومان في الدّعوة والحوار.

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن سلمة، رقم: 832 والبيهقي في سننه، كتاب الصلاة، باب ذكر الخبر الذي يجمع النهي عن الصلاة في جميع هذه الساعات وأحمد في مسنده، مسند الشاميين حديث خالد بن الوليد، رقم: 1707.

² عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النبوية، ص 183.

- حوار النبي ﷺ مع المشركين في حال الحرب:

روى البخاري - رحمه الله - عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير، فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنّا القوم وأوطأنهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهنّ رافعات ثيابهنّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لتأتينّ الناس فلنصينّ من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ في أحرّاهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا مئتين سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومئة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أي القوم محمد؟ ثلاث مرات، ثم قال:؟ أي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدوّ الله، إنّ الذين عددت لأحياء كلّهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هبل، أعل هبل، قال النبي ﷺ: "ألا تحيوه" قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: "الله أعلى وأجل" قال: إنّ لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: "ألا تحيوه" قولوا: "الله مولانا ولا مولى لكم".¹

ومن الفوائد المستفادة من هذه المحاور ما يلي:

- مشروعية الجدل وردّ الخصم وإلزامه، ودفع كلامه وشبهته، فقد ظهر هذا الأسلوب في هذا الحديث عندما دار الجدل بين عمر وأبي سفيان في يوم أحد، ومن ذلك قول أبي سفيان: أعل أهبل، فقال عمر: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال عمر: الله مولانا لا مولى لكم، إلى غير ذلك من مجادلة عمر لأبي سفيان.²

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من النزاع والاختلاف، رقم: 2874 والنسائي في سننه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم: 3817 والنسائي في سننه، كتاب السير، باب التعبئة، رقم: 8635 وأحمد في مسنده، مسند الكوفيين، رقم: 556.

² علي بن سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، 1421هـ، ج2، ص741.

يقول ابن بطلال¹ - رحمه الله -: " وفيه بيان أنّ النبي ﷺ همى جواب أبي سفيان عن الخوض فيما لا فائدة فيه."²

إنّ الذي يمكن أن نقرّه في آخر هذا المبحث أنّ النبي ﷺ قد استعمل أسلوب الحوار مع غير المسلمين على اختلاف مللهم وعقائدهم، وذلك في سبيل إخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام.

¹ ابن بطلال: أبو حسن علي بن خلف بن بطلال البكري القرطبي ويعرف بـ: ابن اللحام، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث، شرح الصحيح في عدة مجلدات، توفي سنة: 449 هـ، كان من كبار المالكية، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ج17، ص 47.

² ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ/2003م ج5، ص195.

المبحث الثالث: الحوار مع المسلم غير المخالف

المطلب الأول: الحوار مع النساء عموماً

لما كانت المرأة تعتبر اللبنة الأساس التي تقوم عليها الأسرة وبالتالي المجتمع، فهي التي تقع على عاتقها مسؤولية أولادها في تربيتهم وتوجيههم وإرشادهم نحو ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فإنَّ النبي ﷺ قد أولى النساء جانباً عظيماً من اهتماماته وتوجيهاته، ممَّا جعله يخصّ وقتاً ليس بالقليل من أجل أن يقوم برعاية حقهنَّ في التعلُّم، إذ كان يعقد لهنَّ يوماً يجتمعن فيه، ينصت لشؤونهنَّ وأمورهنَّ، ويجاورهنَّ فيما ينتفعن من مواضيع، والسنة النبوية حافلة بمثل هذه المواقف، والتي إن دلت على شيء فإنَّما تدلُّ على أنَّ الإسلام قد خصَّ المرأة بمكانة عظيمة لا يمكن أن تحظى بها في أيِّ دين أو ملَّة، نأخذ من تلك الأمثلة ما رواه البخاري - رحمه الله - عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: قال النَّساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً لنفسك، فوعدهنَّ يوماً لقيهنَّ فيه، فوعظهنَّ وأمرهنَّ فكان فيما قال لهنَّ: "ما منكنَّ امرأة تقدِّم ثلاثة من ولدها إلَّا كان لها حجاباً من النَّار" فقالت امرأة: واثنين؟ قال: "واثنين".¹

يقول ابن بطال - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث: "وفيه سؤال النَّساء عن أمر دينهنَّ، وجواز كلامهنَّ مع الرجال في ذلك فيما لهنَّ الحاجة إليه، وقد أخذ العلم عن أزواج النبي ﷺ وعن غيرهنَّ من نساء السلف".²

— والذي يستفاد أيضاً من هذا الحديث أنَّ النبي ﷺ قد لبَّى رغبة النساء في تعلُّمهنَّ، فجعل لهنَّ يوماً لقيهنَّ فيه فوعظهنَّ وأمرهنَّ.

— كان ممَّا أثاره النبي ﷺ في هذا المجلس: المرأة التي يموت لها ثلاثة من أولادها أنَّه يكون لها حجاباً من النَّار، وهذا حتى يحفز وينمِّي في نفوسهنَّ الإيمان واحتساب الأجر بالصبر وعدم الجزع أثناء وقوع البلاء.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حده في العلم، رقم: 101 ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحسبه، رقم: 2633 والنسائي في سننه، كتاب أهل العلم، باب هل يجعل العالم، للنساء يوماً على حدة في طلب العلم، رقم: 5896 والبيهقي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما يرجى في المصيبة بالأولاد، رقم: 6928.

² ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج 1، ص 17.

— كما أنه أثار فيهنّ روح الحوار حيث قالت واحدة منهنّ: واثنين، وهذا ممّا يدلّ على أنّه ﷺ قد حرّك بداخلها روح السؤال، فقامت تسأله ﷺ.

— جعل النبيّ ﷺ الحوار الأسلوب الذي سلكه في تعليم النساء ووعظهنّ.

ومن ذلك ما روى مسلم — رحمه الله — عن ابن عمر — رضي الله عنهما — عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "يا معشر النساء تصدّقن وأكثرنّ الاستغفار، فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار"، فقالت إمرة منهنّ جزلة¹: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار، قال: "تكثرنّ اللّعن وتكفرنّ العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لديّ لبّ منكنّ"، فقالت: يا رسول الله. وما نقصان العقل والدين ؟ قال: "أمّا نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلّي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين".²

فالنبيّ ﷺ قام بطرح السؤال على النساء، بطريقة الإخبار لا الإنشاء، ولهذا سألته المرأة الجزلة، واستفسرت عن سبب كون النساء أكثر أهل النار، فبيّن النبيّ ﷺ لهنّ عن سبب كونهنّ أكثر أهل النار حيث تكثرنّ اللّعن وتكفرنّ العشير.

— وفيه مراجعة المتعلم العالم والتابع المتبوع فيما قاله إذ لم يظهر له معناه كمراجعة هذه الجزلة رضي الله عنها.³

— لم يقتصر النبيّ ﷺ الإجابة عن سؤال المرأة بل أضاف إلى ذلك بيان صفة من صفات النساء وهي نقصان العقل والدين، وهذا حتى تستمرّ المرأة في حوارها له ﷺ، حيث استفسرت عن هذه الأخيرة فبيّن لها ذلك.

— تدلّ هذه المحاورة على صبر النبيّ ﷺ وحلمه في تعليم النساء ورغبته ﷺ في تعليمهنّ وعدم الملل من ذلك، بحيث يعرض المسألة ويدع لها الاستفهام حتى تدخل معه النساء في الحوار. وممّا يؤيّد هذا المعنى أيضا ما رواه البخاري — رحمه الله — عن عائشة رضي الله عنها — أنّ

¹ الجزلة: تامة، أودات كلام جزل أي قوي شديد، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: علي الحلبي، ص152.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم: 1393 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الطاعات، رقم: 132 وابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب فتنة النساء، رقم: 4003 والترمذي في سننه، كتاب الزكاة، باب زكاة الحلي، رقم: 635.

³ النووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص65.

امرأة سألت النبي ﷺ عن الحيض كيف تغتسل منه ؟ قال: " تأخذين فرصة ¹ ممسكة فتتوضئين بها"، قالت: كيف أتوضأ بها يا رسول الله ؟ قال النبي ﷺ: " توضئين"، قالت: كيف أتوضأ بها يا رسول الله ؟ قال النبي ﷺ: " توضئين بها"، قالت عائشة: فعرفت الذي يريد رسول الله ﷺ فجذبتها إليّ فعلمتها. وفي رواية للبيهقي عن عائشة أنّها قالت: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعن الحياء أن يسألن عن الدين والتفقه فيه. ²

يقول ابن بطّال — رحمه الله —: " وفيه تكرار الجواب لإفهام السائل دون أن يكشف فيه مراجعة السائل إذا لم يفهم، وفيه أن السائل إذا لم يفهم بعض من في مجلس العالم والعالم يسمع أن ذلك سماع من العالم يجوز أن يقول فيه حدثني وأخبرني. " ³

— أن النبي ﷺ لم يفصل للمرأة في جوابه عن سؤالها، واكتفى بقوله لها: توضئين بها، لأنّه استحي من أن يفصل لها في الأمر.

— لم يكن الحياء يمنع النساء من سؤال النبي ﷺ فيما يتعلق بأمور دينهنّ.

من هنا يتبيّن لنا جميعاً أنّ النبي ﷺ لم يهمل النساء في التّحاور معهنّ، بل جعل لهنّ الفرصة في أن يتّجهنّ إليه في حال استشكل بعض ما يخصهنّ في أمور دينهنّ، بل والأهمّ من ذلك أنّه كان يقوم باستشارة بعضهن فيما يظنّ أنّ لهنّ به علماً، ومن ذلك استشارته لبريرة في حادثة الإفك، حيث قال لها: "يا بريرة، هل رأيت منها شيئاً يريبك"، فقالت بريرة: لا، والذي بعثك بالحقّ، إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها قط، أكثر من أنّها جارية حديثة السنّ تنام عن العجّين، فتأتي الدّاجن فتأكله...". وفي هذا "دليل على أنّ المرأة ذات رأي واطّلاع ووجهة نظر، قد تخفى على عقلاء الرّجال" ⁴

¹ فرصة: قطعة من قطن أو صوف أو خرقة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: علي الحلبي، ص 699.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب غسل المحيض، رقم: 309 وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها، رقم: 624، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغسلة من الحيض فرصة مسك في موضع الدم، رقم: 332 والنسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب العمل في الغسل من الحيض، رقم 427 وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب في الحائض كيف تغتسل، رقم 642 وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة باب الاغتسال من الحيض، رقم 316.

³ ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، ج 1، ص 442.

⁴ فهد الحمودي، مقالات في السياسة الشرعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2014، ص 273.

المطلب الثاني: الحوار مع أمهات المؤمنين

حيث كان النبي ﷺ يفتح المجال لزوجاته كي يحاورنه فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقالك اقرأ قال " ما أنا بقارىء " . قال: " فأخذي فغطّي حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذي فغطّي الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء فأخذي فغطّي الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ العلق: ١ - ٣ " . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: " زمّلوني زمّلوني " . فزمّلوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: " لقد خشيت على نفسي " . فقالت خديجة كلاً والله ما يخرّيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا التاموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ " أومخرجي هم " . قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.¹

ما كان من النبي ﷺ في هذه الأثناء إلا أن يتّجه إلى أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 3 وكتاب الأنبياء، باب وقال رجل مؤمن غافر 24-28 رقم: 3212 وكتاب التفسير، سورة العلق، رقم: 4670 وكتاب التعبير، باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي والرؤيا، رقم: 6581 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 160 وأحمد في مسنده، مسند ابن عباس، رقم 2845.

فلما حاورها في شأنه وجد عندها السلوى والبشرى، حيث استدلّت وهي العاقلة الحصيفة، على من كان هذا شأنه من البرّ ومحبة الخير للناس فلن يخذله الله، فسنة الله تعالى تقتضي بأنّ الجزاء من جنس العمل، وانظر كيف هدّيت إلى الذهاب إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، لأنّه كان ذا علم وكتابة ولم تذهب به إلى غيره، وشعورها به لأنّ هذا الأمر غريب، وليس من حسن ما يعتري البشر، لذا وجد النبي ﷺ عند ورقة ما سلّاه وبثّ فيه الروح وكان ذلك بسبب تلك الزوجة العاقلة¹، يقول النووي - رحمه الله -: "وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة نظر أو فيه تأسيس من حصلت له مخالفة من أمر وتبشيريه وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال حديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها والله أعلم."²

"وفيه أنّه لا يجب أن يسأل الفازع عن شيء من أمره مادام في حالة فزعه.... وفيه أنّه من نزلت به ملّة أنّ له أن يشارك فيها من يثق بنصحه ورأيه.... وفيه جواز تزكية الرجل في وجهه بما فيه الخير."³

وهذا ما نلمسه أيضا في مشورة النبي ﷺ لأمّ سلمة رضي الله عنها في التحلّل من العمرة في قصّة الحديبية في حديث طويل عندما قال النبي ﷺ لأصحابه: "قوموا فانحروا ثم احلقوا"، فما قام منهم رجل واحد، حتّى قال ذلك ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد، ثمّ دخل على أمّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمّ سلمة: يا نبيّ الله! أتحب ذلك! أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتّى تنصر بذلك وتدعو حالقك فحلّقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعض حتّى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا.⁴

فالنبي ﷺ استجاب لمشورة أمّ سلمة حين أشارت عليه في شأن الحلق والذبح، وذلك عندما رأى من راحة عقلها وسداد رأيها، قال ابن حجر رحمه الله -: "و يحتمل أنّها فهمت عن الصحابة أنّه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلّل أخذًا بالرخصة في حقّهم، وأنّه هو

¹ أبو القاسم الخنعمي، الرّوض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، دار الفكر، بيروت، 1972م، ج1، ص396.

² النووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص202.

³ ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص38.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم: 2581.

يستمرّ على الإحرام أخذًا بالعزيمة في حقّ نفسه، فأشارت عليه أن يتحلّل لينتفي عندهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، وفيه فضل المشاورة وأنّ الفعل إذا انضمّ إلى القول كان أبلغ من القول المجرد، وفيه جواز مشاورة المرأة الفاضلة، وفيه فضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين: " لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلاّ أمّ سلمة".¹

وفي الحديث أنّ النبي ﷺ لما قام فدخل على أمّ سلمة يحدثها عمّا لقيه من الناس، في عدم استجابتهم لأمره — اعتراضا منهم على ذلك الصلح — وهو غاضب أشارت عليه أن يخرج إليهم ولا يكلم أحدا منهم، ويقوم فيحلق وينحر وسوف يفعل الصحابة مثله، وهو ما حدث فعلا، حيث قام النبي ﷺ فحلق ونحر، وفعل الصحابة بفعله، "وفي هذا تنبيه إلى أنّ الزوج العاقل هو من يعتنى بزوجته، ويرفع من شأنها ويحاورها، ويستشيرها فيما ينوبه من بعض أحواله، وفيه إرشاد إلى من يستهين بزوجته فلا يراها إلاّ هملا مضاعا، فلا يعتدّ بحوارها ولا يستشيرها في أيّ شيء من شؤونها، ولا يأخذ برأيها إن هي أشارت، فيخسر بذلك خيرا عظيما وسعادة معجّلة".²

وأیضا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري — رحمه الله — عن عائشة — رضي الله عنها — أنّها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: " إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عني غاضبة"، قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ فقال: أمّا إذا كنت عني راضية فإنّك تقولين: لا وربّ محمد، وإذا كنت عني غاضبي قلت: لا وربّ إبراهيم، قالت: قلت أحلّ والله يا رسول الله ما أهرج إلا اسمك.³

في هذه المحاوره نلاحظ ما يلي:

— الصبر على النساء وعلى ما يبدو من الجفاء والحرص عند الغيرة لما جبلن عليه منها وأنهنّ لا تملكنها.⁴

— "أنّ عائشة — رضي الله عنها — كانت في حال الغضب تترك التسمية اللفظية ولا يترك

¹ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج5، ص347.

² محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص170.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب غير النساء ووجدهن، رقم: 4930 ومسلم، في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم —، باب في فضل عائشة — رضي الله عنها —، رقم: 2439 والنسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب غضب المرأة على زوجها، رقم: 9156 وأحمد في مسنده، مسند عائشة، رقم: 2418.

⁴ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج7، ص354.

قلبها التعلق بذاته الكريمة ﷺ مودة ومحبة، وفيه ذكاء عائشة - رضي الله عنها - ومزيد فطنتها في اختيار ذكر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - دون غيره من الأنبياء، فلما لم يكن بدّ من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل، حتّى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة.¹

- "ومّا يدل عليه الحديث أيضا لطفه ﷺ، وحسن معاشرته لأهله."²

من هنا يتبيّن لنا جميعاً أنّ النبي ﷺ قد جعل لزوجاته رضي الله عنهنّ المجال في سؤاله والتّحاور معه، بل ولا يتحرّج في أن يأخذ برأي إحداهنّ في مسألة هي من أشدّ المسائل وأشقّها، لما يتبيّن له سدادها ورشادها في رأيها الذي آلت إليه في المسألة، مثلما حدث في مشورته لأمّ سلمة رضي الله عنها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على حسن عشرته لزوجاته والاهتمام بما يشغلهنّ، وذلك بالتّقرب إليهنّ من خلال حوارهنّ وحسن الإصغاء إليهنّ، "فمن حقّ الزوجة على زوجها أن يحسن عشرتها فيهنّ عند لقائهما ويمارحها ويداعبها تطيبا لقلبها وإيناسا في وحدتهما، وإشعارا لها بمكانتها من نفسه وقربها من قلبه."³ وذلك تأسيا بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: الحوار مع الشّباب

لم يكن للنبي ﷺ أن يهمّش هذه الفئة من الشّباب هي الأخرى في التّحاور والإصغاء إلى ما يشغلها من مهمّات، بل كان ﷺ يولي لها جانبا عظيما من اهتماماته وانشغالاته، وهذا لما تتملكه هذه الفئة من طاقات، تستغلّ بعدها في الدّعوة إلى الله تعالى على بصيرة من أمرها، وكذا في إعداد الجيوش التي تتصدّى لأعداء الإسلام والمسلمين.

ومن الأمثلة التي تدلّ على أنه ﷺ قد كان يحاور هذه الفئة ما روى البخاري - رحمه الله - عن مالك بن الحويرث قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شبيبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، فلما ظنّ أنّا قد اشتبهنا أهلنا، وسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناهم وكان رقيقا رحيمًا، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة

¹ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج6، ص326.

² التّووي، شرح التّووي على مسلم، ج15، ص205.

³ محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص173.

فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم.¹

- قال ابن بطال - رحمه الله - "...ولذلك رُقّ عليهم النبي ﷺ وصرفهم إلى أهلهم."²

- قال ابن حجر - رحمه الله - "...بأن يكون عرض ذلك عليهم عن طريق الإناس بقوله: لو رجعتم إذ لو بدأهم بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم فأمرهم حينئذ بقوله: ارجعوا."⁴

- "أدرك النبي ﷺ بذوقه المرفه أن هؤلاء قد اشتاقوا إلى أهلهم، فسألهم عنهم، ثم أمرهم بالرجوع وتعليم أهلهم وأمرهم بالصلاة كما كان يصلي."³

ومما يؤكد هذا المعنى ما رواه أحمد - رحمه الله - عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ فتى من قریش، فقال: إيدن لي في الزنا، فزجره القوم، فقال النبي ﷺ: "أدن مني"، فلما دنا منه، قال: "أتحب الزنا لأملك؟" قال: لا والله، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاهم"، قال: "أتحب لأحتك؟" قال: لا والله قال: "ولا الناس يحبونه لأخواهم" قال: "أتحب لعمتك؟" قال: لا والله، قال: "ولا الناس يحبونه لخالهم"، قال: "أتحب لخالتي؟" قال: لا والله، قال: "ولا الناس يحبونه لخالهم"، ثم وضع يده الشريفة رضي الله عنه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه."⁴، وقال الألباني: صحيح.⁵

الذي يتأمل هذا الحديث يرى كيف كان تعامل النبي ﷺ مع هذا الشاب الذي يطلب منه الإذن في ارتكاب الحرام، "فلم يعتفه رضي الله عنه وإنما راعى حاله، فأدناه قريباً منه وأجلسه وحاوره بكلّ لطف، وبعد أن اقتنع الشاب من خلال تلك الأسئلة الخمسة التقريرية وضع النبي ﷺ يده الشريفة عليه، وفي ذلك مزيد عطف وحنان، ولم يكتف رضي الله عنه بذلك فحسب، بل دعا له بثلاث

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم: 605 وكتاب الجماعة والإمامة، باب إذا استنوا في القراءة فليؤمهم أكبرهن رقم: 653 وكتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم: 5662 وكتاب التمني، باب ما لا جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم رقم: 6819 ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب من لأحق الإمامة، رقم: 1567 والنسائي في سننه، كتاب الأذان، باب إجتزاء المرء بأذن غيره في الحضر رقم: 635 والبيهقي في سننه، كتاب الصلاة، باب وجوب تعلم مت تجزئ الصلاة رقم: 2361 وباب فرض الجماعة في غير الجمعة على الكفاية رقم: 1525 وباب وإذا استنوا في الفقه، رقم: 5499.

² ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج2، ص307.

³ محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص175.

⁴ أحمد، مسند أحمد، رقم: 22211.

⁵ محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ج1، ص713 رقم: 369.

دعوات هو بأمر الحاجة إليها فكانت النتيجة أن طابت نفس ذلك الشاب.¹

وهذا ما نلمسه أيضا في حديث ابن عمر يقول: أخذ النبي ﷺ بمنكي: فقال: "كن في الدنيا كأنتك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك".²

في الحديث أن النبي ﷺ أخذ بمنكي ابن عمر رضي الله عنه عندما أراد أن يلقي عليه تلك الكلمات التي هي قليلة، ولكنها ذات معاني عظيمة، وذلك حتى تكون أوقع في نفسه، يقول المباركفوري في تعليقه على هذا الحديث: "قوله: بمنكي فيها نكتته الأخذ وتقريبه إليه وتوجهه عليه ليتمكن في ذهنه ما يلقي لديه".³ قال ابن بطال: "معنى الحديث: الحض على قلة المخالطة وقلة الاقتناء والزهد في الدنيا".⁴

– مشاورته للشباب:

إذ كان النبي ﷺ يشاور الشباب في المسائل التي يظن أن لهم فيها علم ووجهة نظر صحيحة وإن كانت كبيرة، وأشهر ما يروى في ذلك: مشاورته لأسامة بن زيد في قصة حديث الإفك وفيه قالت عائشة رضي الله عنها: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على الرسول ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك ولا تعلم إلا خيرا... الحديث.⁵

وفي هذا دليل على أن النبي ﷺ لم يمنعه صغر هذا الشاب في أن يستشيريه في أمر هو من أشد

¹ محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص 176.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: كن في الدنيا، رقم 6053 وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم 1414 والبيهقي في سننه، باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله، رقم: 6747 والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب قصر الأمل رقم: 2333 وأحمد في مسنده، ج مسند ابن عمر، رقم: 4764.

³ المباركفوري: تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6، ص515.

⁴ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج10، ص148.

⁵ البخاري صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا" إلى قوله "الكاذبون" النور 12، رقم: 4750 ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم 2770.

الأمر وأعظمها، "وفي هذا تربية للشباب واستشارة لقرائهم وزرع الثقة في نفوسهم، فلا غروّ إذن أن يكون أسامة من أكابر الصحابة، وأن يكون ذا الرأي السديد والمواقف العظيمة إبان الفتن التي جاءت بعد ذلك.¹

المطلب الرابع: الحوار النبوي مع الأطفال

لم تمنعه ﷺ أمر الدعوة إلى الله تعالى عن محاورة هذه الفئة من الأطفال الصغار، فإنّ صاحب الخلق العظيم كان من عادته إذا لقي أحدا من هؤلاء الصغار فإنّه كان يتلطّف معهم، إمّا بأن يمازحهم أو يقبلهم أو يفعل معهم شيئا من هذا القبيل، إيناسا لهم واهتماما بهم، ومن ذلك:

— حديث أبي عمير:

روى البخاري — رحمه الله — عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان أخ لي يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: "يا أبا عمير، ما فعل النغير."² نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس وينضح ثم يقوم، ونقوم خلفه فيصلي بنا.³

ونما نستفيده من الحديث ما يلي:

— كان حوار النبي ﷺ مع الصبيّ بنوع مازحة قال ابن حجر رحمته الله " وفيه جواز الممازحة وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنّة لا رخصة، وأنّ مازحة الصبيّ الذي يميّز جائزة... وفيه التلطّف بالصدّيق صغيرا كان أو كبيرا، والسؤال عن حاله."⁴

— الملاطفة أثناء الحوار، قال السيوطي⁵ — رحمه الله — في شرح الحديث: " وفيه ملاطفة

¹ محمد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النبوية، ص 177.

² النغير: مصغر نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، انظر غريب الحديث لابن الجوزي، مج 2، ص 421.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم: 5778 وباب الكنية للصبي وقبل أن يولد الرجل، رقم: 5850 وكتاب البر والصلة، باب المزاح رقم: 1983 وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب المزاح، رقم: 3720 وباب الرجل يكتي قبل أن يولد، رقم: 3740 والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب التسليم على الصبيان والدعاء لهم ومازحتهم، رقم: 1064 وأبو داود في سننه، كتاب الأدب باب ما جاء في الرجل تنكي وليس له ولد، رقم: 4971.

⁴ ابن حجر، فتح الباري، ص 585، ج 10.

⁵ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان السيوطي، إمام حافظ مؤرخ، ولد سنة 849هـ، سافر إلى الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب، له نحو 60 مصنفا منها: الإتيقان في علوم القرآن، الإكليل في

الصبيان وتأنيسهم وبيان ما كان عليه النبي ﷺ من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع.¹

— واجه النبي ﷺ الصغير بالخطاب عند المزاح فقال: "يا أبا عمير ما فعل النغير"، ولم يواجه بالسؤال عند العلم والإثبات بل خاطب غيره، فقال: ما بال أبي عمير.²

— دلّ الحديث على تواضع النبي ﷺ وحلمه، حيث لم تمنعه مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى بأن يجعل جزءا من وقته في أن يلاعب الصغار ويمازحهم ويسألهم عن أحوالهم.

ومن ذلك حوارهم ﷺ مع أنس رضي الله عنه حيث روى مسلم — رحمه الله — عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر بصبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، وقال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: "يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟" فقال: قلت نعم أنا ذاهب يا رسول الله.³

وهذا ما نلمسه أيضا في حديث الغلام الذي كانت يده تطيش في الطعام، فيأكل من كل جهة، فقال له النبي ﷺ: "يا غلام، سمّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك." يقول هذا الغلام: فما زالت تلك طعمتي بعد.⁴

حيث أراد النبي ﷺ أن يعلم الولد طريقة الأكل بأسوب لا تحرجه، وتحفظ ماء وجهه، وذلك بعدما رأى أن يده تطيش في الصحفة، فأمره بثلاث أمور يلتزم بها عند الأكل: التسمية، والأكل باليمين، والأكل مما يليه من الطعام، وكأنه يأمره بأمر عام، وليس بأمر قد لاحظته عليه، وهذا من أدب الحوار مع الصغار يرشدنا إليه معلّمنا محمد ﷺ.

استنباط التزويل... الخ، توفي سنة 911 هـ، نظر شذرات الذهب، مج4، ج8، ص51، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج5، ص128.

¹ السيوطي وآخرون، شرح سنن ابن ماجه، قديمي كتب خاتمة — كراتشي، ج1، ص265

² أحمد بن أبي أحمد الطبري، جزء فيه فوائد حديث أبي عمير، اعتنى به: حسين محمد علي شكري، دار المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/2003م، ص53.

³ مسلم صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان الرسول ﷺ، أحسن الناس خلقا، رقم: 2310 وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الوقار، رقم: 4775.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم: 5061، ومسلم في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب الأكل مما يلي الأكل، رقم: 1305.

من هنا ندرك مدى عناية النبي ﷺ بحوار الشباب والصغار، فرغم حداثة سن هؤلاء إلا أن النبي ﷺ قد فتح المجال أمامهم ليحاورهم حتى يسمع منهم انشغالاتهم واهتماماتهم، وهكذا ليصبحوا بعد هذه العناية النبوية والتوجيه والإرشاد من هذا المعلم الناجح رجالا، فمنهم من قاد الجيوش ضد الشرك وأهله ومنهم من أصبح عالما يتعلم على يديه الصحابة والتابعين من بعدهم.

فعلى المرين والدعاة في زماننا أن يقتدوا بقدمهم ﷺ، في تربية الناشئة من الشباب والأطفال، وأن لا يهملوا هذه الفئة، بل عليهم أن يولوا لها عناية خاصة، وذلك بحوارهم والاستماع والإنصات لهم في كل ما يهمهم من أمورهم الدينية والدنيوية، وهكذا حتى ينشئوا على المبادئ الصحيحة التي توصلهم إلى بر الأمان، فيسلمون من الزيغ والانحراف والذي كثيرا ما يمس هذه الفئة بالذات.

تبين لنا من خلال هذا الفصل كيف أن النبي ﷺ كانت له العناية الكبيرة في حوار جميع الفئات دون استثناء أي فئة، حيث بينا من خلال المباحث التي مرّت معنا من هذا الفصل أن النبي ﷺ كانت له حوارات مع المسلمين وغير المسلمين، لا يهتم في ذلك إن كان من يحاوره صغيرا أو كبيرا، المهم أن يبلغ دعوته التي أمره الله عز وجل بتبليغها إلى جميع الناس، فكان أن حاور المسلم المخالف وغير المخالف، وكذا المخالف من غير المسلمين، وحتى النساء فقد عقد لهن مجالس ليعلمهن أمور دينهن وذلك من خلال الحوار معهن، والإجابة عن كل ما يشغلن، وكذلك هو الحال مع الشباب والأطفال، إذ كان لهذه الفئة أيضا نصيب في حوارهم ﷺ.

الفصل الثاني:

آداب وضوابط الحوار في السنة النبوية

المبحث الأول: الآداب النفسانية للحوار

المطلب الأول: التجرد في طلب الحق

المطلب الثاني: مراقبة النفس أثناء الحوار

المطلب الثالث: عدم اتهام النيات

المبحث الثاني: الآداب العلمية للحوار

المطلب الأول: الحذر من الجدال

المطلب الثاني: البدء بالأهم في عرض الموضوعات

المطلب الثالث: الالتزام بالموضوعية أثناء الحوار

المبحث الثالث: آداب متعلقة بجو الحوار

المطلب الأول: ملائمة المكان

المطلب الثاني: ملائمة الزمان

المطلب الثالث: ملائمة الموضوع وطريقة طرحه

تمهيد:

وقبل أن أبدأ بذكر هذه الآداب والضوابط، عليّ أن أعرج أولاً على مفهوم هذه الآداب، إذ هي عبارة عن مجموعة من القواعد السلوكية التي ينبغي الالتزام بها عند المحاورة، "بغية تحقيق أهداف الحوار، وهي المزيد من التفاهم والإسهام في حلّ المشكلات، مع الإبقاء على العلاقات الإنسانية القائمة في حالة حسنة، دون تغير إلى الأسوأ، نتيجة اختلاف الآراء"¹، وهذه الآداب قام بوضعها علماء فنّ البحث والمناظرة، ألزموها المتحاورين، محافظة على سلامة الحوار وتحقيقاً للغرض منه.

وعليه فسأجمل بحول الله تعالى تحت هذا المبحث أهمّ الآداب التي تراعى أثناء الحوار، مستدلة على ذلك بأمثلة من القرآن والسنة النبوية التي تبين ذلك، حتّى نصل بهذا الأخير إلى نتائج وآثار حميدة، فقد قيل قديماً: إذا صحّت النيّات والإرادات ظهرت العزائم، وإذا صحّت الأصول ظهرت الثمار والآثار.

¹ السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص 108 .

المبحث الأول: الآداب النفسية للحوار

والمراد بالآداب النفسية للحوار: تلك التي تتعلق بنفسيّة كلّ من المتحاورين وكذا بنوعيّة شخصيّتهما، وما يتّناه من مبادئ، " إذ أنّ هناك ظروف نفسيّة قد تطرأ على الحوار ممّا يجعله يتأثر سلباً، فينبغي مراعاة ذلك حتّى يحقق الحوار غايته.¹

المطلب الأول: التجرد في طلب الحقّ

روى البخاري — رحمه الله — عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: "إنّما الأعمال بالنيّة وإنّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه." ²

إذ النية شرط أساسي في كلّ عمل، يقول المبارك كفوري — رحمه الله —: "فالحديث ورد لبيان الفرق بين النية الفاسدة والنية الصحيحة الصالحة، فالأولى مذمومة والثانية محمودة نافعة، ولم يرد لبيان ما فيه النية وما ليس فيه." ³

وعليه فإنّ إخلاص النية لله والتّجرّد في طلب الحقّ يعين في الوصول إلى الحقيقة، ذلك أنّ الهوى خطير يعمي بصيرة الإنسان، فلا يرى إلّا ما وافق هواه، والعلم وحده لا يكفي في ساحة الحوار، بل لابدّ معه من الإخلاص والتّجرّد، فقد يضلّ المرء والعياذ بالله ⁴، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ^(٢٣) الجاثية: ٢٣، فعلى المحاور الصادق أن يقصد بمحاورته وجه الله تعالى وحده لا شريك له، وهذا التّجرّد يكون في مسألة النفس عن

¹ يحيى محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية، مكة، ص 116.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أنّ الأعمال بالنية الحسنة، رقم: 5، وكتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة، رقم: 2392، وكتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه إلى المدينة، رقم: 3685، وكتاب النكاح، باب من هاجر أو عمل خيراً للتزويج امرأة فله ما نوى، رقم: 4783، وكتاب الإيمان والنذور، باب النية في الإيمان، رقم: 6311، وكتاب الحيل، باب في ترك الحيل، رقم: 6553، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وآله عليه وسلّم إنّما الأعمال بالنية، رقم: 1907، والتسائي في سننه، كتاب الطلاق، باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه، رقم: 3437.

³ عبيد الله أبو الحسن المبارك كفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية، الهند، ط3، 1404هـ — 1984م، ج1، ص33.

⁴ أحمد بن عبد الرحمن الصّويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكيّة، دار الوطن، الرياض، ط1، 1413هـ، ص77.

الغرض من الحوار، أهو إرادة الحقّ فحسب، أم أنّ هناك أغراضاً أخرى كحبّ الظهور وإفحام الخصم، وأن يرى الإنسان مكانه، فإذا كانت هذه الأغراض في نفسه فليحجم عن الحوار حتّى يتجرّد بنيتّه لله تعالى تماماً، وأنّه يريد الحقّ ولو ظهر على لسان الطرف الآخر¹، ولقد كان هذا منهج الأنبياء — عليهم الصّلاة والسلام — إذ كلّهم أعلنوا لأقوامهم أنّهم يريدون الأجر ولا يتتغون مصلحة، إنّما ينتظرون ما عند الله لما يقدّمونه لأقوامهم، فهذا هود يقول لقومه: ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى آلِي فَأَلَّا تَعْقِلُونَ﴾ (٥١) هود: ٥١، وقال صالح لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩) الشعراء: ١٠٩ يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أدّخر ثواب ذلك عند الله."² وهكذا بالنسبة لكلّ الأنبياء، حيث لم يترحزحوا عن عقيدتهم وأسلموا أنفسهم لله وحده، وكأنّ لسان كلّ نبيّ ينطق أنّي لا أريد منكم أجراً ولا منفعة، ولا مغنماً على ما أدعوكم إليه، لأنّ أجري على الله ربّ العالمين، ولأنّ واجبي أن أبلغكم رسالة ربّي وأنصح لكم وأحرص على استجابتكم لي، لأنّي أريد الخير لكم³، كما أنّه تميّز أصحاب القرون الخيريّة الأولى في مجالس الحوار بخصائص أهمّها أنّ الواحد منهم كان وقافاً عند الحقّ، إذ ما ذكرّ بالدليل فلا يتردّد في قبوله، ولا يتأخّر في إعلان رجوعه عن الخطأ إلى الصواب.

ومن مقتضيات هذا التّجرّد في طلب الحقّ ما يلي:

أولاً: الحرص في الحقّ وإيثاره على ما سواه:

روى البخاري — رحمه الله — عن عبد الله بن عتبة أنّ عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر، فترّل على ابن أخيه الحرّ بن قيس بن حصين، وكان من التّفرد الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبّاناً، فقال ابن عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فلتأذن لعيينة، فلمّا دخل قال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل، وما

¹ عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبة، الرياض، ط1، 1418هـ / 1997، ج1، ص76.

² ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص414.

³ عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدّعوة والدّعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص242.

تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم بأن يقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩، وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقفا عند كتاب الله.¹ يقول ابن حجر — رحمه الله — في شرحه لهذا الحديث: "ومعنى ما: ما عمل بغير ما دلّت عليه، بل عمل بمقتضاها، ولذلك قال: وكان وقفا عند كتاب الله، أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزها."²

— الحرص على الحق يحتاج إلى عمل قلبي في إرادة الحق ومحبة وعلى علم بالأدلة الشرعية، إذ إن فساد الإرادة والجهل بالأدلة مانعان من قبول الحق والعمل به³، فإذا بنى العبد أقواله وعلومه ونظيره ومحاوراته على هذا الأصل، أفلح وأنجح، وكان على ثقة من أمره ويقين من براهينه، ولكن لا يصلح هذا ولا يتم إلا لمن كان عارفا بالأدلة الشرعية، وأمّا الجاهل فما يفسده أكثر مما يصلحه، فعليه أن يتعلم قبل أن يتكلم⁴، ولعلّ السبب الذي يمنع من السعي في طلب الحق والسعي في إظهاره هو الخوف والخشية من الناس، وهذا ما يظهر أثناء بعض الحوارات التي تحسّ من خلالها موافقة الأطراف والميل إلى آرائهم أكثر من بيان الحق وتأصيله، وقد حذر النبي ﷺ من هذا الأمر، فقال ﷺ: "ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحقّ إذا علمه."⁵

ثانيا: أن يعترف بفضل الآخر

روى البخاري — رحمه الله — عن عروة عن عائشة — رضي الله عنها —: أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: "لا نورث ما تركناه صدقة

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، رقم: 4366، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 6856.

² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 13، ص 318

³ عبد الله لموصلي، الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ص 5.

⁴ عبد الرحمن ناصر السعدي، توضيح الكافية الشافية، تـ: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط 1،

1420هـ / 2000م، ص 29.

⁵ الترمذي سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، رقم: 2191 وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم: 4007، قال الألباني: صحيح، انظر صحيح ابن ماجه، دار المعارف، الرياض، ط 1، 1417 هـ، مج 3، ص 313.

"، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبي أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرتة، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليهما، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجهه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: أن إئتنا ولا يأتنا أحد معك كراهية لمخضرم عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسى أن يفعلوا بي، والله لا آتيهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد علي فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقربتنا من رسول الله ﷺ نصيباً، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده، لقربة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلاّ صنعتة، فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر، فتشهد وذكر شأن علي وتخلّفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي، فعظم حقّ أبي بكر وحديث أنّه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضّله الله به، ولكننا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبدّ علينا فوجدنا في أنفسنا، فسرّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبت وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف.¹ يقول ابن حجر — رحمه الله —: "قال القرطبي — رحمه الله —: "من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطابع البشري قد يغلب أحياناً لكنّ الديانة والتّقوى كان يردّ ذلك."²

— المحاور الصادق في طلب الحق هو الذي يعترف بفضل الآخر ويشكره على ما أعانه

¹ البخاري، كتاب الاعتصام، باب الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بالنبي، رقم: 6856 وكتاب التفسير، سورة الأعراف، رقم: 4366.

² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج7، ص616.

عليه، وخصوصا إذا ظهر بعض الحق في كلامه، وفي الحديث: "الكبر بطر¹ الحق وغمط² الناس." ³

— "هذه المحاورة تدلّ صراحة على فضل أبي بكر وعلي رضي الله عنهما وعلى حرصهما على التمسك بالحق والرجوع إليه عند ظهوره." ⁴

ثالثا: أن يذكر ما له وما عليه من الأدلة:

يقول الله عز وجل ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^{٤٢}

البقرة: ٤٢ فلا يجوز للمحاور أن يحجب شيئا من الحقيقة أو يدفن شيئا من الأدلة التي تدعم قول المخالف ونزاهة المحاور وموضوعيته، وتكمن في الأمانة العلمية⁵، ولذلك فإنه من البديهي أن يكون المحاور المؤمن صادقا مع الله ثم مع نفسه يصدق قوله عمله، وينتفع به الآخرون إذ يروونه في مقام القدوة الصالحة التي لاتناقض في شخصيتها، والتي تدعو بسلوكها كما تدعو بقولها، أما إن كان مخالفا لذلك فسوف يضر نفسه باكتسابه الإثم حين يخالف قوله فعله، ويضر دينه.

المطلب الثاني: مراقبة النفس أثناء الحوار

جرت العادة عند أكثر المتحاورين أن يركزوا انتباههم على الطرف الآخر، يمحسون الملاحظات على فكرته وطريقته في الحوار دون أن يراقبوا أنفسهم بنفس المقاييس، فينسى الإنسان نفسه ونوازعها ونبرات صوته وطريقته في الرد، مما يكون له أثر سيئ يحدث في النفس عجا وشعورا بأنها فوق الملاحظات.⁶

فعلى المحاور إذن أن ينتبه إلى نفسه أثناء حوارهِ مع الآخرين، فيراقب نفسه حتى لا يفقد السيطرة عليها، فلا يخرج من دائرة الأفكار التي هيأها، فيسأل نفسه هل أخرج النقاش عن جادة الاتزان، وعلى المحاور أن يتأني حرصا على الفهم وأن يحذر العجلة في الحكم، وإذا غاب عنه معنى أو فاته فلا يمنع الخجل أن يطلب استعادته، ويستوثق من المقصد قبل أن يتجه إلى الحكم أو التقدر.

¹ البطر: أن يجعل الحق باطلا، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، مج1، ص76.

² غمط: الاحتقار والاستهانة، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، مج2، ص163.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، رقم: 147.

⁴ سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح البخاري، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط1، 1421هـ، ج2، ص855.

⁵ عبد الرحمن الصويان، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، ص85.

⁶ عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية، ج1، ص77.

وهنا يستوقفنا ذلك الحوار الذي دار بين داود عليه السلام والخصمين الذين دخلا من غير استئذان ومن غير طرق الباب، وعرض عليه أحدهما الأمر دون أن يسمع للآخر حكمه ففضى، ولما كان سيدنا داود مراقبا لنفسه فإنه عرف خطأه واستغفر ربه، قال تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ص: ٢١، وهكذا هو المحاور المراقب لنفسه، ثم يعقب الله بعد ذلك مؤدبا عبده بأدب مراقبة النفس وعدم اتباع الهوى أو الجور في الحكم: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ص: ٢٦

وحتى يحقق المحاور هذه المسألة أثناء حوارهِ عليه أن ينتبه إلى مايلي:

أولاً: حسن الاستماع والإصغاء

والإصغاء هو فنّ القدرة على الانتباه والتمييز بين الحقائق والميول الشخصية، كما أنّها القدرة على التركيز فيما يقول الآخرون وما يحاولون التعبير عنه، وهذا يتطلب سماع كل ما يقال، وليس فقط ما يتوقع أو ما يريد الشخص سماعه¹، يقال: إنّ بعض القول فن فاجعل الإصغاء فناً فحسن الاستماع من الأمور التي تدرج تحت أدب مراقبة النفس أثناء الحوار، إذ أنّ فضيلته تكمن في استيعاب الرأي الآخر، ووزن دليله بميزان العقل والمنطق والمساءلة عمّا خفي من الدليل المعروض²، فالمتحدث البارع مستمع بارع، فكما يجب أن يسمع الناس إليه ويحترمونه ينتبه إلى نفسه ويسمع لغيره ويحترمهم قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ هود: ٣٢

وفي سنة النبي ﷺ نجد مثالا رائعا، فقد روى ابن هشام في السيرة أنّ عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: "قل يا أبا الوليد أسمع"، فقال له عتبة ما قال حتى إذا فرغ قال له: "أوقد فرغت يا أبا الوليد" قال: نعم، قال: "فاسمع منّي" قال: أفعل، فقرأ عليه من سورة فصلت إلى الآية الثالثة والثلاثون (موضع السجدة). ثم قال لعتبة: "قد سمعت يا أبا الوليد

¹ أحمد محمد عوض، فقه الحوار في ضوء السنة النبوية، ص76.

² محمد الكتّاني، ثقافة الحوار في الإسلام، منشورات الأوقاف الإسلامية، المغرب، ط1 1428 هـ/ 2007م، ص207

فأنت وذاك." ¹

حيث قام النبي ﷺ بإعطاء الفرصة الكافية لعتبة، حتى يتكلم بما يريد الكلام به، أحسن الاستماع إليه ولم يقاطعه بالكلام حتى اسيقن من كون عتبة قد أنهى كلامه، وذلك بأن سألته بقوله: "أوقد فرغت يا أبا الوليد؟"، وهذه من نواذر آداب الحوار الذي يعزّ وجودها في عالم التحاور. ²

ثانيا: عدم الغضب:

"إذ الغضب من الأمور التي تضعف الحوار وتخرجه إلى الخصومة" ³، فعلى المحاور أن يتجنب هذا الخلق السيء، وفي القرآن الكريم درسا في هذا وهو يعرض علينا قصة يونس الذي خرج مغاضبا لقومه قبل إيمانهم، فابتلاه الله بالحوث ليبتلعه حتى يكون عبرة، قال ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَضِبًا﴾ ^(٨٧) الأنبياء: ٨٧، أي خرج يونس مغاضبا لقوله من أجل ربّه بعد أن أنذرهم أن العذاب سيزل بهم في مدة حدّدها لهم لبقائهم على الكفر، فيونس غضب على قومه لكفرهم بربّه، فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير إذن ربّه، إذ كان عليه أن يصابر ويبقى بين قومه، ويتنظر الإذن من الله تعالى بالخروج والمهاجرة عنهم. ⁴

قال أنس رضي الله عنه في شمائل النبي ﷺ: "لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا لئانا ولا سبّابا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: "ماله ثرب جبينه." ⁵

فالمطلوب أن يتعد عنه صاحب العقل السليم، ولذلك كانت نصيحة رسول الله ﷺ للرجل الذي طلب منه أن يأمره بعمل، وأن لا يكثر في الوصية، قال: "لا تغضب"، ثم أعاد عليه فقال: "لا تغضب." ⁶ وعن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: "ليس الشّدّيد بالصّرعة، إنّما

¹ عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص322 — 324، قال الألباني: حسن، انظر تعليقه على فقه السيرة، دار الكتب الحديثية، ط 6، 1965م، ص113.

² السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص92.

³ المرجع نفسه، ص203.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللّعن، رقم: 5699.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم: 5765، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب كثرة الخطي إلى المساجد، رقم: 2020.

الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.¹

فالتشنج والانفعال ليس هو الأسلوب الأمثل لنصرة الحق، لأن القلب المشحون بالغضب يؤثر تأثيراً بالغاً على انفعالات الإنسان التي تغطي على العقل والمنطق، فالغضب كما قال الرازي رحمه الله: "لا يبقى سداداً للفكر، وعند احتلاله لا مطمع في الفهم، إذ يفوت الغرض."²

هذا وقد قال الإمام ابن القيم الجوزية³ رحمه الله: "الغضب نوع من الغلق والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التصور والقصد"⁴، ويشبه ابن القيم رحمه الله الغضب عند اغتياله العقل كالذئب عند افتراسه الشاة، فيقول: "الغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة، قلما يتمكن منه إلا اغتال عقله."⁵

إذن فالغضب عند الحوار يعتبر محاولة لإبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها، حيث "لا يوصل إلى إقناع الطرف الآخر وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر اللذين هما من صفات المؤمنين، فالالتزام بالهدوء أسلوب من أساليب الحوار الجيد، وخصوصاً إن كان محاورك من سريعي الغضب، فأنت تأسره بمدونك وطمأنينة نفسك."⁶

ثالثاً: عدم رفع الصوت وإطابة الكلام

إذ يعدّ رفع الصوت من أخطر أنواع الإرهاب النفسي في الحوار، ومن أسباب تلغيم الجو — ولذلك ذمّه الشارع في قوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم: 5763، ومسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم: 2609.

² فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2، ص222.

³ ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية و ابن قيمها، ولد سنة 691هـ، سمع الحديث و اشتغل بالعلم، تلميذ ابن تيمية حيث لازمه إلى أن مات، من مؤلفاته: الفوائد.....الخ. انظر الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، ج4، ص21.

⁴ ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1473هـ، ج2، ص175.

⁵ ابن القيم الجوزية، إغاثة اللّهفان في حكم طلاق الغضبان، ت: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، ط2، 1408هـ/1988م، ج2، ص25.

⁶ طارق بن علي الحبيب، كيف تحاور، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلام، الرياض، ط14، 1426هـ، ص45.

لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ لقمان: ١٩، قال بن كثير في هذه الآية: "وقال مجاهد وغير واحد أن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفع، ومع هذا فهو بغيض عند الله تعالى، وهذا التشبيه يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم".¹

وخاطب الله المؤمنين بعدم رفع الصوت أمام الرسول ﷺ بأن لهم أجرا عظيما، قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الحجرات: ٢. قال بن كثير في هذه الآية: "وقال مجاهد وغير واحد: "وقد ظهرت هذه الإطابة واللين في كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام عند خطابه لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ﴿٤٣﴾ مريم: ٤٣".²

قال الشيخ السعدي: "أي: يا أبت لا تحقرني وإنني ابنك وإنّ عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك... وفي هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى فإنه لم يقل: يا أبت أنا أعلم وأنت جاهل، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إليّ لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبّع الحجة وتنقاد لها".³

وقد قال ابن عقيل — رحمه الله — تحت هذا المعنى من اللين في الكلام أثناء الحوار مانصّه: "اعلم أنّه يجب لكل واحد منهما على صاحبه مثل الذي يجب للآخر من الإجمال في الخطاب، وترك التقطيع لكلامه والإقبال عليه وترك الصياح في وجهه، والتأمل لما يأتي به والتجنّب للحدة والضجر عليه، وترك الحمل له على حجر الضرورة، إلّا من حيث يلزمه ذاك بمذهبه وترك الإخراج له عن الحدّ الذي ينبغي أن يكون السؤال والجواب، وترك الاستصغار له والاحتقار لما يأتي به، والتنبيه له عن ذلك إن بدر منه أو مناقضته إن ظهرت في كلامه، وألّا يمانعه العبارة إذا أدّت المعنى، وكان الغرض إنّما هو المعنى دون العبارة، وأن لا يخرج في عبارته عن العادة، وأن لا يدخل في كلامه ما ليس منه، ولا يستعمل ما يقتضي التعدي على خصمه...".⁴

¹ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 3، ص 540.

² المصدر نفسه، ج 3، ص 541.

³ عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتان، ج 1، ص 494.

⁴ ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تـ: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، ج 1، ص 523 — 254.

إذن فعدم رفع الصوت أثناء الحوار وإطابة الكلام مع الطرف الآخر من الأمور المهمة لإنجاحه، فعلى المحاور أن يضع ذلك في حسابه وهو يدير عملية الحوار، فيراقب درجة صوته، ويسعى إلى أن يطيب كلامه مع محاوريه، فيضفي على عباراته معاني اللين والرأفة والطيبة، ولا بأس أن يدخل نوعاً من الفكاهة والمزاح على كلامه من الحين إلى الآخر، وذلك حتى يزيل الحاجز الذي بينه وبين محاوريه، فإذا بكلّ من المتحاورين قد وجدا لنفسيهما قبولاً لدى الآخر، وشعوراً بمدى قربهما، وبهذا يستطيع كلّ منهما على إبداء رأيه بكلّ حرية، بعيداً عن كلّ ما يعكّر جو الحوار.

المطلب الثالث: عدم اتهام النيات

أمرنا الإسلام أن نتعامل مع الناس بحسب ما يظهرونه من أقوال وأعمال دون التعرّض لبواطنهم، لأنّ هذه الدائرة في علم الله تعالى، وليس لأحد أن يتجرّأ فيخبر بما يخفونه الناس بداخلهم وبواطنهم، ولقد كان المنافقون بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، يعرفهم الرسول ﷺ لكنّه لا يعاملهم إلّا بظواهرهم، وتجري عليهم أحكام الإسلام على الظاهر، ولما أشار عليه بعض أصحابه بقتل أحدهم ن رفض ذلك حتّى لا يقول الناس: "إنّ محمداً ﷺ يقتل أصحابه".¹

روى البخاري — رحمه الله — عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصّة الرّجل الذي اعترض على قسمة رسول الله ﷺ وقوله له: اتق الله، فقال النبي ﷺ: "ويلك، أولست أحقّ أهل الأرض أن يتّق الله"، قال: ثمّ وليّ الرّجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، قال: "لا، لعله أن يكون يصلي"، فقال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: "وإني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم"، قال: ثمّ نظر إليه وهو مقفّ فقال: "إنّه يخرج من ضئضي هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرميّة، وأظنّه قال: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود"²، إذ أنّ معاملته

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقون، رقم: 4622 ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم: 2584، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، سورة المنافقون، رقم: 3315.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، رقم: 4094 ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: 1064 والنسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب المؤلفة قلوبهم، رقم: 2578 والبيهقي في سننه، كتاب قسم الصدقات، باب من يعطي من المؤلفة، رقم: 13561 وأبو داود في سننه، كتاب السنّة، باب في قتال الخوارج، رقم: 4769.

الناس تكون بحسب ظواهرهم دون التنقيب عن سرائرهم، لأنّ البواطن يتولاها الله عزّ وجلّ، يقول بن حجر— رحمه الله —: "أي إنّما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، قال القرطبي رحمه الله: "إنّما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدّث الناس أنّه يقتل أصحابه ولا سيما من صلّى." ¹ كما أنّه يجب على المسلم أن يتعامل مع إخوانه المسلمين بحسن الظنّ مهما كان حاله، فقد قال النّبّي ﷺ لخالد بن الوليد في هذا الرّجل الذي وصفه بعدم التقوى: "لعلّه يصلي."

ومن الأحاديث أيضا التي تؤيّد هذا المعنى ما رواه مسلم — رحمه الله — عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبّحنا الحرقات ² من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي ذلك فذكرته للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "أما قال لا إله إلا الله وقتلته"، قال: قلت: يا رسول الله، إنّما قالها خوفا من السّلاح، قال: "أفلا شققت على قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟"، فما زال يكرّرها حتى تمّيت أنّي أسلمت يومئذ. ³

قال الإمام النووي — رحمه الله —: وقوله ﷺ: "أفلا شققت على قلبه" فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول، أنّ الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولّى السرائر. ⁴

ولمّا كان الأمر كذلك فإنّ من أخطر آفات الحوار أنّ المتحاورين إذا اختلفا ولم يتفقا في مسألة من المسائل، أسرع أحدهما إلى اتّهام نيّة صاحبه، وطعن في مقصده وعدّه من أهل الهوى، وهذا المزلق خطير يملّيه في أكثر الأحوال التعصب المذموم، وتحويل الحوار قبل بدايته إلى قهقهة يعوق المحاور عن الدّراسة الواعية والقراءة الفاحصة والناقدة وهو ضرب من ضروب الحصار الفكري على المخالف، وقطع لكلّ أبواب التفاهم وقنوات الاتّصال، وإنهاء للحوار الذي بدأ بين الطرفين. ⁵

فالأصل إذن: حمل كلام المحاور على ظاهره وجريانه على أحسن الأحوال، حتّى يتثبت

¹ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص87.

² الحرقات: جمع حرقة، قبيلة من جهينة، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج3، ص591.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النّبّي صلّى الله عليه وسلّم أسامة بن زيد على الحرقات، رقم: 4021 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم: 96 والنسائي في سننه، كتاب السير، باب قول المشرك لا إله إلا الله، رقم: 8594 وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون، رقم: 2645.

⁴ النووي، شرح النووي على مسلم، ج2، ص107.

⁵ أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار، ص155.

العكس، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن أعظم التخيّر نسبة الغلط إلى متكلم مع إمكان تصحيح كلامه، وجريانه على أحسن أساليب كلام الناس، ثمّ يعتبر أحد الموضعين المعارضين بالغلط دون الآخر." ¹

فيحسن في الحوار إذا تناولنا الفكرة بالبحث والتحليل أو بالنقد بعيدا عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحوّل الحوار إلى مبارزة كلامية طابعها الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأحكام إلى مناقشة التصرفات والأشخاص.

قال تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١)، أي: لا يظعن بعضكم في بعض، فالحوار إذا رأى صاحبه قد أخطأ وترجّح له ذلك بالدليل عليه أن يقول له أخطأت، ثمّ يذكر مستنده الشرعي على ذلك ولا يتجاوز هذا إلى غيره، ففي أعقاب غزوة حنين نجد درسا رائعا من الرسول ﷺ محاورا بطريقة علمية بعيدة عن اتّهام النيات، فقد وزّع الغنائم وهي كثيرة في قريش وفي قبائل العرب ولم يعط للأَنْصار منها شيئا، فغضب بعضهم، وقال منهم قائل: لقي رسول الله ﷺ قومه فدخل عليه سعد بن عباد، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحيّ من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم لما وصفت في هذا الحيّ الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيّ من الآن صار شيئا، قال: "فأين أنت من ذلك يا سعد"، قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من ذلك.

فهذا حوار يطالب فيه سعد بالفهم والتّوضيح بعيدا عن اتّهام النيات، والأمر نفسه بالنسبة لرسول الله ﷺ، حين بيّن ووضّح ولم يتهم النيات، ولم يصدر منه ما يחדش المشاعر، فيأمر سعدا أن يجمع له قومه، فخرج عليهم فقال: "يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم ووجدة وجدتها في أنفسكم، ألم تكونوا ضلّلا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألّف بين قلوبكم"، قالوا: بلى يا رسول الله آمّن وأفضل، قال: "ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟" قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولرسول الله المنّ والفضل، قال: "أما والله لو شئتم لقلتم فلصدّقتهم ولصدّقتهم: أتيتنا مكذّبا فصدّقناك ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فواسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في لُعاة² من الدنيا تألّفت قوما ليسلموا ووكلتم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن

¹ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد القاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، مج3، ص144.

² لعاة: أول ما يبدو من النبت وهو طري ناعم، انظر: الفائق في غريب الحديث لمحمد الزّحشري، ج3، ص317 وغريب الحديث، ابن الجوزي، ج2، ص324 وغريب الحديث، ابن قتيبة، ص306.

يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فو الذي نفس محمد بيده أنه لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار"، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ.¹

— يقول ابن حجر — رحمه الله —: "وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدّم، إقامة الحجّة على الخصم وإفحامه بالحقّ عند الحاجة إليه وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء، وبيان أنّ الذي نقل عنهم إنّما كان عن شبّانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول ﷺ البالغ عليهم، وأنّ الكبير ينّبّه الصغير على ما يغفل عنه ويوضّح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحقّ، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب واعتابه عن عتبه بإقامة حجّة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف"²، فالرسول ﷺ لم يلم سعداً، ولم يردّ على الأنصار الذين غضبوا، ولم يناقشه في حجّته التي فيها ما فيها، بل إنّ سؤاله عن الشخص الذي قال ما قال، وسأله سؤالاً عاماً يجعل الحديث للجميع، وليواجه المشكلة من أساسها، وبدأ بسؤاله العاتب عليهم، وثبّت على ذلك بذكر الفضل الكبير الذي فاز به الأنصار، وذكر فضلهم عليه حتّى لا يصير ممّا منه فقط عليهم، ودون أن يتّهم النّيات، ليبين لهم المنة الكبرى التي فازوا بها، إذ يذهب الناس بالشاة والبعير، أمّا الأنصار فإنّهم يعودون بخاتم الأنبياء وأفضل الخلق جميعاً ﷺ، وهكذا نرى أنّ المشكلة كبيرة، ولكنّ سيّد المرسلين أحسن الحوار فيها وأنهاها — رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً.

وهكذا فليعلم المتحاوران أنّ الحوار الذي يبدأ فيه المحاور مع صاحبه من قوله: إنّك قلت قولاً لم ترد به وجه الله، مكتوب عليه بالفشل، فهذا ممّا يفسد جوّ الحوار، ويفقده مصداقيته وفائدته ويخرجه إلى المهاترة والمسابّة، فيجمل بالمرء أن يحسن الظنّ بمن يحاوره وأن لا يدخل في نيّته وأن يحمل كلامه على أحسن المحامل ما وجد إلى ذلك سبيلاً³، وممّا لا بدّ من التنبيه إليه في نهاية هذا الباب أنّ إرادة الخير وحسن المقصد لا يفيدان الرجل إذا أخطأ في مقالته أو اعتدى في فعله؛ إذ مقصود المباحثة والمناقشة تمييز الخطأ من الصواب وتصويب الأقوال والأفعال، وعرضها

¹ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، رقم: 11547، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

² ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 8، ص 52.

³ محمد بن إبراهيم، أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 1، 1422هـ، ص 69.

على ميزان الشرع بالعلم والعدل، بخلاف الكلام في الأعذار والنيّات والمقاصد، فهذه تبحث في باب الأحكام وشروطها وموانعها لا في باب الحوار.¹

وهذا ما يظهر في حوار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع بعض العباد من الكوفة، فعن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنّا نجلس على باب أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: لا بعد، فجلس معنا حتى خرج، فلمّا خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إنّي رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلاّ خيراً، فقال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلّقوا جلوساً، ينتظرون الصلاة في كلّ حلقة رجل، وفي أيديهم حصاً، فيقولون: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فيقولون: هلّلوا مئة، فيهلّلون مئة، ويقولون: سيّحوا مئة، فيسيّحون مئة، قال: فما قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيّئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثمّ مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون، قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصاً نعدّ به التكبير والتهلّيل والتسيّح، قال: فعدّوا سيّئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمّة محمد صلّى الله عليه وآله ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابته بينكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلّى ملّة هي أهدى من ملّة محمد صلّى الله عليه وآله، أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاّ الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله حدّثنا أنّ قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وإيم الله، ما أدري لعلّ أكثرهم منكم، ثمّ تولى عنهم، فقال عمرو بن عبسة: رأينا عامّة أولئك الحلقة يطاعنوننا يوم التّهروان مع الخوارج.²

ومحلّ الشاهد في هذه المحاوره قولهم: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاّ الخير، فقال عبد الله بن مسعود: "وكم من مريد للخير لن يصيبه"، فإنّ إصابة الخير وقبول العمل متوقفان على الإخلاص والمتابعة معاً.

¹ عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النبويّة، ص45.

² عبد الله أبو محمّد الدارمي، سنن الدارمي، ج1، ص286، وابن أبي شيبة في مسنده، رقم: 39045 قال الألباني: إسناده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة، رقم: 2005.

إلى هنا يمكننا أن نقرّر أنّ الذي يعصم الإنسان من الزيغ والانحراف، هو الالتزام الدقيق بمنهج الاستدلال العلمي المبنية على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة النبي ﷺ ومنهج السلف الصالح، ثمّ التّورع والتّوقّي ومراقبة الله تعالى في القول والفعل، مع الرجوع إلى العلماء الربانيين الذين أنار الله عزّ وجلّ قلوبهم بالعلم والإيمان.

المبحث الثاني: الآداب العلمية للحوار

بمعنى الآداب التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية وموضوعاته الأساسية، والضوابط والأصول العلمية، من حيث إيراد المعلومات و ترتيبها، وردّها أو قبولها، وما يلحق ذلك من أسس يجب اتّباعها حتّى ينضبط الحوار ويحقّق أهدافه.¹

المطلب الأوّل: الحذر من الجدل:

إذ أنّ هذا الأسلوب الجدل — يلجأ إليه الذين همّهم الجدل والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الناس، لأنّه عبارة عن آفة قاتلة، قد تنتج عن الحوار ليصطبغ بصبغة التعنّت والعناد، ولا يصبح الحقّ هو الهدف الذي يرجى الوصول إليه، وحدّ المراء أو الجدل أن ينكر الحقّ الذي ظهرت دلالاته ظهوراً لا خفاء فيه، ويتعصّب للباطل الذي ظهرت دلالاته أيضاً ظهوراً لا خفاء فيه²، فإن كان المحاور معروفاً بالجدل وقلة الاكتراث بما يقوله الطرف الآخر، فهذا ومثله لا ينفع معهم اللين والرفق، وإنّما ينبغي في حقّهم إفحامهم ومناظرتهم على الملأ الذين قد ضلّوا سبيلهم، وذلك حتّى تدحض حجّتهم وتسقط هيبتهم من النفوس، وتتبين وهن فكرتهم واضطرابهم، لكن ينبغي لمن أراد مناظرتهم أن يكون على مستوى من العلم والذكاء والشجاعة؛ بحيث لا يؤتى من قلة علمه أو سطحيته أو نحو ذلك.³

وهذا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري رحمه الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله أتاه رجل أنكر ولده فقال: "يا رسول الله، إنّ إمراة ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "هل لك من إبل!"، قال: نعم، قال: "مالونها"، قال: حمر، قال: "هل فيها من أورك"، قال: نعم، قال: "فمن أين ذلك؟"، قال: لعلّ عرقاً نزعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "وهذا الغلام لعلّ عرقاً نزعته."⁴

¹ يحيى محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 276 بتصرف يسير.

² أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار، ص 95.

³ عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية، ج 1، ص 93 — 94.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم 4999 ومسلم في صحيحه كتاب اللغات، رقم: 1500 وابن ماجة، في سننه، كتاب النكاح، باب الرجل يشك في ولده، رقم 2002 وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق باب إذا شك في الولد، رقم 2262. و البيهقي في سننه، كتاب اللغات، باب لا لعان ولا حد في التعريض، رقم 15139 والنسائي في سننه، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بامرأته وشك في ولده وأراد الانتفاء منه، رقم 5674 وأحمد في مسنده، رقم 7264.

إذ نرى أن النبي ﷺ أراد أن ينهي الحوار الذي دار بينه وبين هذا الرجل، دون أن يعرضه للجدال الذي يخرج الاثنين عن الوصول إلى الحقيقة، وذلك في أسلوب هادئ لامراء فيه ولا تغت، كيف لا وصاحبه هو صاحب الخلق العظيم ﷺ.

— الذي ينبغي أن يحذره أو ينتبه إليه المحاور أثناء محاورته، أنه يحاول أن يعرف الذي يسعى إليه الطرف الذي يحاوره، فإن عرف أن هدفه المطالبة والمباهاة، وأن يقال فلان علا على قرينة وغلب خصمه، فعليه أن يجتنبه ويحذر مكالمته، فليس يحصل بمناظرته دين ولا دنيا، وربما أورد خصمه ما يخجله، ولا يستحسن مكافأته عليه.¹

— الذين نحاورهم على نوعين، نوع نحاورهم لإفحامهم ودحض شبهاتهم وآرائهم، وهم أولئك الذين أصبح لهم أتباع وآذان صاغية من طرف الكثير من الناس، والنوع الآخر يجتنب ويحذر محاورته، وهذا الأخير هو الذي يريد لنفسه مكانة بين الناس وليس له تأثير على غيره.

— إذا رأى الإنسان أن الحوار قد تحوّل إلى مرء وجدال وقيل وقال وتغنت وصخب، واستعراض، فينبغي أن يقطع الحوار لأنه لا فائدة ترجى من ورائه، ومفسدته أعظم من مصلحته، فلا نريد أن يتحوّل الحوار إلى عراكات ومصادمات جسمانية أو محاكمات ولغظ، من أجل الظهور والغلبة والطواف حول الذات، وهذا ما دلّت عليه الآيات القرآنية والتي رسمت مقتضى المنهج القرآني في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ الأنعام: ٩١.

فالآيات نهجت أسلوب التعدية لهؤلاء وفضح مواقفهم من خلالها، لتبرز النتيجة الحاسمة من أنهم لا يرجعون في معارضتهم لما يعارضون إلى شيء من عقيدة وإيمان، بل إلى العنصر المادي الذي تتمثل فيه نزعة المحافظة على الامتيازات المادية والاجتماعية.²

— لما ظهر من حال هؤلاء القوم أنهم أهل عناد وتغنت، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ أن يجهر له بكلمة الحق، ثم يعرض عنهم ويتركهم يخوضون ويجادلون، ولهذا قال تعالى:

¹ أبو الوفاء بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، ج 1، 520

² حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ج 1، ص 145.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقد حث الرسول ﷺ على ترك المراء في جميع الأحوال، حيث قال: "أنا زعيم بيت في ربض¹ الجنة لمن ترك المراء ولو كان محققاً"²، وقال ﷺ: "ما ضلَّ قوم من بعد هدى أتاهم إلَّا أوتوا الجدل."³

فالحوار الذي ليس له بضاعة في العلم يتخذ الجدل وسيلة لتغطية ذلك النقص الذي يشعر به في داخله، أمّا من كان جداله على علم وبصيرة، فله الحق أن يجادل حتى يردّ الباطل، يقول القرطبي رحمه الله — عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُولاَءَ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٦) مانصه: " في الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له، والخطر من لا يتحقق عنده وقد ورد الأمر بالجدل لمن علم وأيقن، فقال: ﴿ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)

إذن فمن كل ما تقدّم يمكن القول أن موضوعية الحوار تجري على الكلام وعلى مقدماته وعلى لوازمه وآثاره، "فينظر المحاور في خير الخيرين وشرّ الشرّين، وإلّا فإذا كان الكلام حقاً ومقدماته ليست صادقة والتحاوور يورث مزيداً من الإشكالات والشبه والفرقة، فالإمساك أولى والترك أحرى"⁴، "أمّا الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة وأمّا المراوغة فهي قهر من مجلس المناظرة، ومتى وجد المحاور هذه المراوغة من خصمه، فمن الخير له أن يقطع المحاوره ويلزم خصمه بالهروب والانسحاب، وليحذر من أن يستدرجه إلى موضوع آخر ثم آخر، وهكذا فتتحوّل المحاوره إلى ما يشبه المصارعة الحرّة التي ليس لها قيود ولا ضوابط، وهذا جدل محظور."⁵

¹ الربض: ما حولها خارجاً عنها، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: علي الحلبي، ص 341.

² الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب المراء، رقم: 1993 والنسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب لمن أسلم وهاجر وجاهد، رقم: 3133، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم: 4801، قال الألباني: حسن، انظر:

صحيح سنن أبي داود، دار المعارف، الرياض، ط 1، 1419هـ، مج 3، ص 179.

³ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الزخرف، وابن ماجه في سننه، رقم: 48، وأحمد في مسنده، حديث أبي أمامة الباهلي، رقم: 22164، قال الألباني: حسن، انظر صحيح سنن الترمذي، مج 3، ص 326.

⁴ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج 7، ص 166.

⁵ عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص 373

المطلب الثاني: البدء بالأهم في عرض الموضوعات

إن العلوم مرتبة ضرورياً، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب¹، فالشيء إذا كان ابتداءً سهلاً حَبَّ إلى من يدخل فيه وتلقاه بانسباط، وكانت عاقبته الازدياد بخلاف ضده، فتدرّج المحاور في عرض مسائل الحوار وموضوعاته وفقاً لقاعدة التدرّج الشرعيّ مراعيًا حال الأطراف الأخرى، إذ مقصود الحوار: تقريب المعاني وليس تعقيدها وتسيير الحال وليس تعسيرها، والتّغريب في الحقّ وليس التّغيير عنه، لذلك فإنّ معرفة الأهمّ والبدء به وتحديدده بوضوح يسهّل كثيراً من الأمور المهمّة على المحاور، وأوضح الأمثلة على ذلك بدأ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام دعوتهم بأهمّ قضية وأعظم غاية، وهي الدّعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.²

فكان كلّ نبي يدعو قومه بقوله: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٥٩) الأعراف: ٥٩، قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، كذلك يوسف عليه السّلام عندما سأله صاحب السّجن كان جوابه بالأهمّ من ذلك فقال: ﴿يَصَدِّحِي السِّجْنَاءُ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يوسف: ٣٩ - ٤٠، فيوسف عليه السّلام بدأ معه القضية الأهمّ، وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته والتدرّج معهم فيها خطوة خطوة، ويعرضها بموضوعية، فبدأ بسؤال مجرد يهزّ به فطرتهم ويوقظها: ﴿يَصَدِّحِي السِّجْنَاءُ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، وفي هذا السؤال جوابه: فلاشكّ أنّ الواحد القهّار خير وهو الذي له العبادة وحده، ثمّ يخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى في مواجهة عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية، فيقول: ﴿مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ (٤٠) يوسف: ٤٠ فتلك الآلهة والأرباب لا حجة لها

¹ يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه، ص 303.

² علي بادحدح، مقومات الدّاعية النّاجح، ص 95.

ولا برهان، فلم يجعل الله لها سلطان، ولم يتزل بها من سلطان، ثم يضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة فيبين لمن ينبغي أن يكون السلطان والطاعة أي لمن ينبغي أن تكون العبادة فيقول: ﴿إِنْ

أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿يوسف: ٤٠﴾، فقرّر أخيراً أنّ الدين الصحيح القيم هو الذي لا يعبد متّبعه إلا الله وحده لا شريك له، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد الله سبحانه وتعالى، قال السّعدي — رحمه الله — في ذكر الفوائد من قصّة يوسف — عليه السلام —: "ومنها البدء بالأهمّ وأنه إذا شكّ المفتي وكان السائل في حاجة أشدّ بغير ما سأل عنه، أنّه يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإنّ هذا علامة على نصح المعلم وفطنته وحسن إرشاده وتعليمه، فإنّ يوسف عليه السلام لما سأل الفتيان عن الرؤيا قدّم لهما قبل تعبيرهما.. ودعاهما إلى الله وحده لا شريك له."¹

ومن النصوص الشرعية أيضاً التي تأكّد أهميّة هذا المبدأ — التدرّج في الدّعوة على حسب الأحوال والأزمات — ما ورد عن عائشة رضي الله عنها في التدرّج في نزول القرآن: "إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار حتّى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لاندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنا، لقالوا: لاندع الزنا أبداً."²، قال الحافظ ابن حجر — رحمه الله: "البدء بالأهمّ فالأهمّ، وذلك من التلطف في الخطاب، لأنّه لو طالبهم بالجميع في أوّل مرّة لم يأمن النّفرة."³

فالتدرّج في عرض محاور الحوار وملاحظة ترتيب الأولويات، ومراعاة أحوال المحاورين شرط مهمّ لإنجاح الحوار، ومن هنا يتعيّن التذكير ببعض العناصر المهمّة لهذا الأساس وهي:

— وجود خلفية عن الطّرف الآخر: إذ أنّ عقول الناس وأفهامهم ومستويات ثقافتهم متفاوت، والمحاور الفطن يعرف من يحاور، وبالتالي يعرف الطّريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوّر، فيخاطبهم بما يحقّق الغرض ويصل به إلى المطلوب من أيسر الطرق، ولذلك فإنّ النّبي ﷺ كان يهتمّ بأحوال المدعوّين ويتعرّف عليهم ويسأل عن أصلهم، فقد لقي النّبي ﷺ نفراً من الخزرج عند عقبة المني في موسم الحج، فسأله عن أصلهم قبل دعوتهم إلى الله عزّ وجل، فقد روى

¹ عبد الناصر السعدي، تفسير السعدي، ج2، ص448.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم: 4707.

³ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج4، ص576.

ابن إسحاق — رحمه الله — أنه لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: "من أنتم؟"، قالوا: نفر من الخرج، قال: "أمن موالي اليهود؟"، قالوا: نعم، قال: "أفلا تجلسون أكلّمكم"، قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.¹

– الدخول إلى المحاوراة من مداخل نفسية ومحاولة إثارة العاطفة وإظهار الخوف عليه والتّصحيح له²، إذ العواطف الإنسانية مدخل هامّ إلى العقل، فقد لا يسمح لنا بالدخول على عقول الآخرين تطبيقاً لقواعد الإقناع والمنطق، ولكن قد يسمح باقتحام هذه البوابة العقلية عن طريق العواطف، هذه المشاعر الوجدانية تؤثر بدرجات متفاوتة في عملية اتخاذ القرار³، وهذا ما نجده أيضاً مع نوح عليه السلام، فقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف: ٥٩، وقال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ مريم: ٤٥، فانظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل، وانسلخ عن قضية التمييز، كيف ربّب الكلام معه في أحسن اتّساق، وساقه أرشق مساق مع استعماله المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن.⁴

وفي الحديث أن رجلاً جاء فجلس بين يدي النبي ﷺ فقال: إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني فأشتّمهم وأضربهم، فكيف أنا معهم؟، فقال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إيّاهم، فإن كان عقابك إيّاهم فوق ذنوبهم اقتصّ لهم منك الفضل"، فتنحّى الرجل وجعل يهتف ويكي، فقال رسول الله ﷺ: "أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

¹ البيهقي، دلائل النبوة، ت: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م ج2، ص434، و عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص276، حسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة، ص154.

² علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء، مصر، ط1، 1410هـ، ص81.

³ مصطفى الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، ص188.

⁴ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ج6، ص143.

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ الأنبياء: ٤٧" فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء بدءاً من مفارقتهم أشهدهم أنهم كلّهم أحرار.¹، يقول المبار كفوري رحمه الله: "من مفارقتهم: أي من مفارقتي إيّاهم لأنّ المحافظة على مراعاة المحاسبة والمطالبة عسر جداً"²، فالنبي ﷺ استخدم عاطفة الرجل تجاه الجنّة وخوضه في النار، وترك له القرار والاختيار، فكان من ثمره هذا الأسلوب القرآني في الحوار أن أذعن الرجل إلى ما فيه راحته في الدنيا والآخرة. ومن الحوارات التي تبين هذا المعنى وتجسّده بوضوح ما دار بين النبي ﷺ وبين الشاب الذي استأذنه في الزنا، حيث نقل رسول الله ﷺ عواطف الرجل الشاب من دائرة عامّة إلى دائرة عاطفته الذاتيّة التي تهّمّه، فاستثمر شعوره وعواطفه نحو أمّه وأخته وخالته، ثمّ عندما وضع يده الشريفة عليه ودعا له.³

قال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد⁴: "إنّ شيئاً من سعة الصدر والإحاطة بطبائع النفوس كفيل بتحقيق الخير في الناس بنتيجة لا يظنّها الكثيرون، ينبؤ على ملاحظة استيعاب المدعوّ وسعة مداركه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فيوقعه إمّا في النّفرة والشّرد، وإمّا في التخبّط الفكريّ والدّخول في غياهب الفتن."⁵

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأنبياء، رقم: 3165 والبيهقي في شعب الإيمان، ت: محمد السعيد زغلول، رقم: 8586 وأحمد في مسنده، حديث عائشة، رقم: 6401، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج3، ص 283.

² المبار كفوري، تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج9، ص4.

³ مصطفى الطحّان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص187.

⁴ صالح بن عبد الله بن حميد، من آل حميد من قبيلة بني خالد من مواليد بريدة سنة 1369 هـ، شغل منصب رئيس مجلس الشورى سنة 2002، حتى تعيينه رئيس المجلس الأعلى للقضاء في السعودية سنة 2009 وحتى 2012 ح وعين في الديوان الملكي، من مؤلفاته: مفهوم الحكمة والدعوة، التوجيه غير المباشر في التربية وتغيير السلوك، نظرة تأصيلية في الخلاف بين أهل العلم، البيت السعيد وخلاف الزوجين.... إلخ. ويكيبيديا - الموسوعة الحرة -

⁵ صالح بن عبد الله بن حميد، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، دار الوطن، الرياض، ط1، 1414هـ، ص22.

المطلب الثالث: الالتزام بالموضوعية أثناء الحوار

تحديد الموضوع والالتزام الأطراف بالمحاوره وعدم الخروج عن مضمونها أصل مهم للوصول إلى الغاية من المحاوره، وهذا الأصل يمنع من الشغب في الحوار، ويجعل كلام المتحاورين ملائماً للموضوع، ليس فيه خروج عما هو بصدده¹؛ بحيث لا يعتمد أحد المتحاورين على الانطباعات الذاتية أو المعلومات الشائعة، أو المشهورات التي يتداولها العامة باعتبارها حقائق، فضلاً عن نبذ النزاعات والأهواء والعواطف²، ذلك أن الموضوعية في الحوار تعني التجرد عن كل الآراء المسبقة والتقيّد بالموضوع والاحتباس من تعميم الأحكام، وتجاهل الضعف والخلل في الرأي المأخوذ به، والخلط بين الرأي والذات الآخذة به.³

وهذا ما نلمسه في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أتتها بريرة تسألها في كتابتها، فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، فلما جاء رسول الله ﷺ ذكرته بذلك، قال النبي ﷺ: "ابتاعي، فأعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق"، ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: "ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله ما ليس له، وإن اشترط مائة شرط."⁴

يقول النووي رحمه الله: "هو موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا أنه إذا كره شيئاً فخطب له ذكر كراهيته، ولا يعين فاعله، وهذا من عظم خلقه ﷺ، فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملاء"⁵، ويقول الشيخ بكر أبو زيد⁶: "الأصل هو السّتر والعمل على دفع دواعي الفرقة والوحشة وعدم الموافقة،

¹ محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج2، ص76.

² محمد الكتاني، ثقافة الحوار في الإسلام، ص211.

³ فيصل الحاشري، فن الحوار، دار الإيمان، مصر، ط1، ص78.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحلّ من الشروط، رقم: 2584 وأبواب المساجد، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، رقم: 444 والترمذي في سننه، كتاب الوصايا، باب الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت، رقم: 2124.

⁵ النووي، مسلم بشرح النووي، ج5، ص72.

⁶ بكر أبو زيد: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر، ولد في قرية بني زيد القضاعية عام 1365 هـ، تخرّج من كلية الشريعة بالرياض عام 1387 هـ/1388 هـ، وكان ترتيبه الأول، له عدّة مؤلفات منها: آداب طالب الحديث من

فالردّ ينصبّ على المقالة المخالفة المذمومة لا على قائلها..."¹

فالتبّي ﷺ لم يكن يفضح الشخص الذي يريد أن ينصحه ويبيّن له خطأه، بل كان يتناول المسألة في إطار العموم، فكان يوجّه اهتمامه إلى الخطأ دون التعرّض إلى صاحبه، لأنّ هدفه ﷺ الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وليس التشهير بالأشخاص على رؤوس الأشهاد، كما يقع من بعض الناس في يومنا والله المستعان.

وحتىّ تتحقّق الموضوعية في أيّ حوار يقوم بين أطرافه، فلا بدّ أن يستند إلى عناصر مهمّة، وهي كما يلي:

أولاً: تحديد عناصر الموضوع

أي تحديد النقاط التي يتضمّنّها قبل الدخول في الحوار، إضافة إلى مراعاة الغاية من الحوار أنشاءه، إذ إنّه لا يصحّ أن يكون الحوار في مسألتين مختلفتين، كلّ منهما يقصد بحواره أحدهما في آن واحد، بل الصواب في ذلك أن يكون الحوار حول نقطة معيّنة ؛ بحيث يتمّ التركيز عليها ولا يتعدّاها المحاور حتّى ينتهي منها، و مثال ذلك ما رواه النسائي رحمه الله تعالى — عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار — على حدّتهم — وهم ستّة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على عليّ بن أبي طالب وأصحاب التّبيّ ﷺ معه، قال: جعل يأتيه الرّجل فيقول: يا أمير المؤمنين إنّ القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتّى يخرجوا فإنّي لا أقاتلهم حتّى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلمّا كان ذات يوم قلت لعليّ: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتنّي حتّى آتي القوم فأكلّمهم، قال: إنّني أتخوّفهم عليك، قلت: كلّا إن شاء الله تعالى، وكنت حسن الخلق لا أؤذي أحداً، قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانيّة، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهوريّاً، قال: ثمّ دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، قال: فدخلت على قوم لم أر قط أشدّ اجتهاداً منهم، أيديهم كأنّها ثفن الإبل، وجوههم معلّمة من آثار السّجود، عليهم قمص مرخصّة، وجوههم مسهمة من السهر، قال: فدخلت. فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون عليّ؟ لقد رأيت على

الجامع للخطيب، تسمية المولود، حلية طالب العلم، الحدود والتعزيزات، تقريب الألفاظ العلمية... وغيرها، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

¹ بكر أبو زيد، الردّ على المخالف من أصول الإسلام، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ، ص63.

رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 32] قالوا: فما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58]، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتكم، قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال: وما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ"، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل، قال: قلت وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفّاراً لقد حلّت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرّمت عليه دماؤهم، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: محافضة من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قال: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحديثكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون — ينقض قولكم — أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أمّا قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: 95]. وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 35]. أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحقّ أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، قالوا: اللهم في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأمّا قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة أم تستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6]، فأنتم مترددون بين ضالّتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ فنظر بعضهم إلى بعض، قالوا: اللهم نعم، قال: وأمّا قولكم محافضة من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فكتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان، فقال: اكتب يا علي

هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال: والله إنّني لرسول الله حقاً وإن كذبتُموني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، أخرجت من هذه ؛ قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم ألفان وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.¹

يتبين لنا من خلال ما جرى بين ابن عباس وهؤلاء الحرورية أنّ ابن عباس سألهم عن مأخذهم على الإمام علي رضي الله عنه وأصحابه، فحدّد بذلك منازع الاختلاف ومدار النزاع بدقة، ثم بدأ يستعرض المسائل الواحدة تلو الأخرى، ولا ينتقل من واحدة إلّا بعد أن ينتهي الحوار منها، ويقول لهم بعد كلّ مسألة بيّن وجه الحقّ منها: أخرجت من هذه؟، فإذا قالوا: اللهم نعم، انتقل إلى المسألة التي تليها، حتّى مرّ على جميع المسائل التي استشكلت عليهم.

إذن فلا بد من معرفة الموضوع الذي يجري الحوار حوله والموقف المسبق بشأنه تصديقاً أو تكذيباً، قبولاً أو رفضاً، صحّة أو خطأ، لأنّه حوار مع جاهل، كما لا جدوى من حوار بين متوافقين من جميع الوجوه، ولا أساس مطلق للحوار فيما نبجله.

والمقصود بالمعرفة هنا معرفة جوانب الموضوع وما يعرض للتناظرين فيه من دواعي الاختلاف، وما يعتمد عليه المختلفون من دلائل واستشهادات تعزّز موقف كلّ منهم، إذ لا يتصور الدخول في حوار حول موضوع مسألة بدون أن يكون للمتحوار في شأنها موقف منها قبولاً أو رفضاً، مدعومين بالحجّة والدليل، وهذه المعرفة أو الخبرة الوافية هي التي يمكن إجمالها في مبدأ واضح، وهي ضرورة انطلاق الحوار من علم مسبق بموضوعه²، وقد دلّنا القرآن الكريم على هذا

المبدأ في مثل قوله تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَنَجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ ؕ عَلِمُ فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]، وقوله تعالى

¹ أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، رقم: 342، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: : إسناده صحيح، انظر: شرح المسند للإمام أحمد، أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1، 1995م، رقم: 3187، ج3، ص370.

² عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ص27.

على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣) مريم: ٤٣.

ثانيا: الالتزام بالتقيد الموضوعي في المحاوره:

بحيث يكون التقيد منصباً على المقالة لا على قائلها، "بأن يكون موضوعيا حياديا يناقش الخطأ في ذاته دون ربطه بالخطي، حتى يتاح للمخطئ أن يدلي برأيه في الخطأ، والمخطئ في هذا الحوار الهادئ يحاور حتى يتبين له الحق من الصواب"¹، وهذا ما يظهر في تعامل النبي ﷺ؛ حيث كان من عاداته وهديه ﷺ وحسن خلقه أنه إذا وقعت مخالفة من بعض الناس تحتاج إلى تنبيه، فإنه يأتي بكلام عام دون أن يسميهم، ليستفيد من كلامه الذين حصل منهم الخطأ والذين لم يحصل منهم، فكان يبين الخطأ دون التعرض للأشخاص ما أمكن إلى ذلك فكان، يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا"، إذ أن غايته هي الإصلاح لا التشهير.

ثالثا: الالتزام بإيراد ما يحتاج إليه في المحاوره فقط

بحيث لا يستطرد في الموضوع حتى يخرج عن الهدف المرجو من المحاوره "ولا يتوسّع إلاّ بقدر الحاجة، مع الحذر من الوقوع في الأغاليط والشبهات التي لا فائدة منها سوى العملية الجدلية والانحراف بها عن مسارها."²

¹ عبد الحليم محمود، التربية الاجتماعية الإسلامية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1422هـ / 2001م، ص

² مسعود فلوسي، الجدل عند الأصوليين، مكتبة الرشد، ط1، 1424هـ، ص313 بتصرف يسير.

المبحث الثالث: آداب متعلّقة بجوّ الحوار

إضافة إلى الآداب التي ينبغي أن ينضبط بها الحوار، وحتى يتّسم هذا الأخير بالنجاح، هو أن يقوم المتحاوران بتوفير الجوّ المناسب له، ويكون بالتّظر إلى الظروف المحيطة به من حيث المكان والزّمان ومن حيث الموضوع، فقد يكون المكان ناديا أو بيت صديق أو مكتب عمل، وقد يكون مسجدا أو سيارة¹، وكذا مراعاة الزّمان والموضوع محلّ الحوار، إذ إنّ لكلّ من ذلك حكما في التّحاور.

المطلب الأوّل: ملائمة المكان:

وهنا نجد الحوار الذي جرى بين موسى والسحرة بالسّدرّة، فراعى سيّدنا موسى عليه السلام الزمان والمكان، حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى طه: ٥٩ ﴾، يقول محمّد الأمين الشنقيطي² — رحمه الله —: "قال الزمخشري: "وإنّما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علوّ كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد في المجمع، لتقوى رغبة من رغب في اتّباع الحقّ... ويكثر المحدث بذلك الأمر ليعلم في كلّ بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والحضر، وما ذكره الله جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة من كون المناظرة بين موسى والسحرة عين لوقتها يوما معلوما يجتمع الناس فيه، ليعرفوا الغالب من المغلوب."³

ويوم الزّينة هو يوم عيدهم وتفرّغهم من أعمالهم على حدّ أقوال المفسّرين وأن يجمع النّاس لمشاهدة المعارضة بين السّحرة وموسى في ضحوة النهار، ليكون الوقت أظهر وأجلى وأبين وأوضح للحقّ، وهكذا شأن الأنبياء عليهم السلام، وكلّ أمرهم بيّن واضح ليس فيه خفاء،

¹ السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النبوية، ص215 بتصرّف يسير.

² محمد الأمين الشنقيطي: بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، مفسر، باحث، من علماء شنقيط بموريتانيا، من كتبه: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، توفي بمكة، انظر معجم المفسرين، ج2، ص496.

³ محمّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، ج4، ص29.

ولذلك لم يقل ليلا ولكنه قال نهارا ضحي في مكان سوى أي حالنا فيه التسوية¹، فكأنه قال: مكانا قريبا منا قربه منكم، وهذه التهيئة من موسى لجو الحوار هو الذي أنجح، وكانت تلك النتيجة الجليلة في إيمان السحرة وتحديهم لفرعون، وأنهم أثاروا الله والإيمان به على كل شيء أمام طاغوت فرعون ووعدده وعقابه الشديد يقول تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ بَلِيَّتٍ ذَاتِ لَأْنٍ ۚ إِنَّآءَ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ﴾ طه: ٧٢ - ٧٣

إذن فلا بد من مراعاة المكان من حيث ضيقه واتساعه، إذ الأماكن العامة لا تصلح للحوار في قضية خاصة أو حوار طويل، حيث تكثر فيها الشواغل والمقاطعات، فلا تصلح أماكن الضحيج مثل الأسواق ونحوها، فلا بد من الابتعاد عن مثل هذه الأماكن، لأن الحق قد يضع في مثل هذه الأجواء، حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثر، وبقدر ما يقلل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقادون إلى الحق عند ظهوره.²

المطلب الثاني: ملائمة الزمان

والمقصود بمراعاة الوقت تحيّر الوقت الملائم للحوار ومناسبة طوله لأحوال الناس، وهذا ما بيّنه الحديث الذي يرويه البخاري — رحمه الله — عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما، نأتيك فيه تعلّمنا ممّا علّمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهنّ النبي ﷺ، فعلمهنّ ممّا علّمه الله، ثمّ قال: "ما منكم من امرأة تقدّم ثلاثة من الولد إلّا كانوا لها حجّابا من النار، فقالت امرأة: واثنين، فقال رسول الله ﷺ: "واثنين".³ حيث قام النبي ﷺ باختيار المكان والزمان لتعلّم هذه النساء أمور دينهنّ: "اجتمعن يوم كذا وكذا"، يقول المباركفوري — رحمه

¹ انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير لجماعة من العلماء، بإشراف صفّي الرحمن المباركفوري، دار السّلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1421هـ، ص845.

² عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص74.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوما على حدة، رقم: 101 وكتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم: 1192 وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته الرجال والنساء، رقم: 6880 ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم: 2633.

الله -: "يعني اجعل لنا وقتاً من الأوقات المختصة بذاتك الأشرف في أي وقت وفي أي مكان من المسجد أو البيت"¹، وفي تعيين النبي ﷺ المكان والزمان فائدة وهي حتى يجعل لهذه النسوة الاستعداد والشوق لما سيلقيه عليهن، فتكون الموعظة أوقع، لأن ما حصل بالطلب ليس كالحاصل بلا تعب.²

فمراعاة الزمان من حيث اتساعه للموضوع الذي يطرح للحوار من الأمور المهمة التي لا بد أن تراعى أثناءه، فلا يحدد الوقت في نهاية الدوام لانشغال الناس بالانصراف إلى منازلهم، ولا يكون الوقت متأخراً من الليل؛ حيث الرغبة في النوم أو قبل طعام، أو استعداد لسفر، بل يختار وقتاً يتسع للحوار حتى لا يؤدي إلى بتره أو عدم الفائدة منه.³

المطلب الثالث: ملائمة الموضوع وطريقة طرحه:

ومعنى ذلك أن يقوم المحاور باختيار الموضوع الذي يناسب حال الحضور، وهل هم في مستوى المناقشة أثناء الحوار أم لا؟، وهل فيهم من يتدخل فيفسد النقاش ويضيع إمكانية الانتفاع منه⁴، وهنا يستوقفنا ما رواه جرير بن عبد الله أن أعرابياً قدم على مجلس رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه، فجلس إليه وهو يرتجف خائفاً لأنه استحضر صورة الملوك والأمراء مع أقوامهم في شدتهم وبأسهم وبطشهم، فنظر إليه النبي ﷺ وقال: "هون عليك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد."⁵

فهذا من النبي ﷺ من أجل توفير جو يجعل الأعرابي الذي جاء ليتعرف على الإسلام يهدأ ويطمئن، ويستمتع جيداً، وفي النهاية يسلم ويتغير، وهذا ما يدل على أهمية توفير الجو المناسب للحوار، قال الله تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطِّيبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (٢٤) الحج: ٢٤

¹ أبو الحسن المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الهند، ط3، 1404هـ / 1984م، ج5، ص503.

² عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص74.

³ علي بادحدح، مقومات الداعية الناجح، ص99.

⁴ يحيى محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص117 بتصرف يسير.

⁵ ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب القديد، رقم: 2693، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه، مج 3، ص128.

كما ورد أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: "ما تقول في الصلاة؟" قال: أتشهد، ثمّ أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة¹ معاذ، فقال النبي ﷺ: "حولها ندندن"²، فقد استخدم النبي ﷺ الأسلوب الذاتي الذي استخدمه الأعرابي في التعبير عمّا في نفسه، فقال له ﷺ: "حولها ندندن"، وهكذا كلّما أوحينا للإنسان الذي نحاوره أنّ الكلام الموجه إليه من واقع تفكيره وكلماته الخاصة كلّما كنّا مقبولين لدى عقله.

فعلى المحاور إذن أن يحسن انتقاء المواضيع التي يحاور حولها وأنّها في مستوى عقول الحاضرين والمستمعين وأنّها من اهتماماتهم، وفي حالات أخرى قد لا يملك المحاور أن يتحكّم في تحديد موعد معيّن، كأن يفاجأ في جمع من الناس من يلبس عليهم في أمر دينهم مثلا، أو يثير شيئا ويشكّك في أصول وقواعد ومسلّمات يبني عليها دين المسلم عندها، قد لا يسع المحاور إلّا أن يتحيّن الفرصة ويعرض نفسه لتصحيح الأخطاء التي ربّما علقت بأذهان المستمعين وردّ الشبهات، ومن ثمّ إسكات المتكلّم، فإذا أحسن اختيار ذلك يبقى له العنصر الأخير والأهمّ في جوّ الحوار وهو اختيار المنهج بانتقاء أفضل الكلمات والمعلومات التي يتحاور بها على أساس منهج الأنبياء في الحوار؛ حيث يعتمدون الفكر والحكمة والمحبة والمودة واللين والرفق.

ومما يمكن أن نستفيد من الأحاديث تحت هذا العنوان، أنّ هناك أموراً تساعد على توفير الجوّ المناسب للحوار وهي:

أوّلاً: خلق الأجواء الهادئة للتفكير السليم: إذ إنّ من المتفق عليه حتّى نصل بالحوار إلى هدفه المنشود هو خلق تلك الأجواء التي تتسم بنوع من الهدوء والابتعاد عن الفوضى والضوضاء، هذه الأخيرة التي تشوّش على الطرف المحاور فكره، فلا يكاد إلّا أن يجد نفسه أمام جملة من الأفكار لا يعرف أوّلها من آخرها، بيد أنّ الجوّ الذي يعمّه الهدوء يتيح المحاور الفرصة ليحاور ويعبّر بكلّ حرّية دون الخضوع لأيّ نوع من الضغط النفسي الذي تسببه الفوضى. إذن فالحوار الناجح يحرص على توفير جوّ الهدوء والتركيز، وذلك عن طريق تجنّب خلق الأجواء الانفعالية التي تربك ذهن الإنسان وتقفز بالعاطفة إلى المقدمة، فيسيطر على العقل فتحدث

¹ دندنة: أن يتكلّم الإنسان بكلام تسمع نغمته ولا يفهم كلامه، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، مج1، ص350.

² ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة...، باب ما يقال في التشهد الأخير والصلاة...، رقم: 910 وكتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، رقم: 3847 وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، رقم: 792، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح أبي داود، مج 1، ص 225.

بذلك كل أنواع الخلل المعروفة في الإدراك والتفكير من عدم استيعاب الرأي الآخر، وربما استيعابه بصورة عكسية والتحيز والتنوع في الأحكام¹، وبقدر ما يكون جو الحوار خالٍ من الانفعالات والتبعية بقدر ما يكون التركيز والهدوء والمتابعة الحسنة، ولقد كان المشركون إذا أكثروا من التشكيك في الرسول ﷺ وفي رسالته وأنه ساحر ومجنون وكاهن... إلخ، لم يكن القرآن الكريم يراجعهم بالمواقف الانفعالية، بل كان يدعوهم إلى التفكير بعد التجرد من عواطفهم وانفعالاتهم وعصيتهم، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ أَنْتَ ..﴾ سبأ: ٤٦ مثني وفرادي ثم تنفكروا ما...

فالتشنج والانفعال ليس هو الأسلوب الأمثل لنصرة الحق لأن القلب المشحون يؤثر تأثيرا بالغاً على انفعالات الإنسان التي تغطي على العقل والمنطق.²

ثانياً: مراعاة الطرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر: فقبل أن نشعر في عملية الحوار أن نتأكد من أن الشخص الذي نحاوره لا يخضع لأي ضغوطات نفسية، قد تشغل تفكيره أثناء الحوار معه، كمرض أو حزن أو مشاكل شخصية أو غير ذلك من الأمور التي "تؤثر حتمياً على الحوار إما ببتره قبل تمامه أو حدوث انفعالات غضب أو توتر يؤدي بالحوار إلى الفشل³، فعلى المحاور أن يحترم الطرف الآخر ويمنحه حقه من التقدير والاحترام، ونحن مأمورون أن نترل الناس منازلهم، فإذا كان الحوار مع شخص مهم أو كبير في السن أو يحتل منصباً مهماً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، ينبغي أن نحفظ له حرمة المنزل التي يحتلها حتى ولو كان مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً، ونختار الألفاظ المناسبة لمكانته وتعامله بالحق، ونثني على ما فيه من جوانب إيجابية، وإن تعاملنا مع الآخر بهذه الروح الواثقة المؤدبة يضيف على الحوار الإيجابية والتواصل نحو إنجاحه، فهذا رسول الله ﷺ وهو يكلم عتبة بن ربيعة يخاطبه ويناديه بكنيته فيقول له: "قل يا أبا الوليد أسمع" لأن الرجل صاحب مكانة اجتماعية في قريش المشركة، والأمر نفسه كان مع النبي ﷺ مع أبي سفيان حين أسلم في الفتح العظيم — فتح مكة المكرمة — حيث إن رسول الله ﷺ كان يعرف مكانته في قومه، فقال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن".⁴

¹ عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية، ج1، ص91.

² سعد الدين العثماني، في فقه الحوار، ص22.

³ عبد الرحمن الصويان، الحوار، ص104.

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: 1780 وأبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب ما جاء في خبر مكة، رقم: 3023.

ثالثاً: عدم الإكراه والإقرار بالخلاف: إنّ الحوار الهادف والمفيد هو ما كان موضوعياً، والموضوعية تقتضي النظر في ذات الموضوع في أسسه ومبادئه ومقوماته، حتّى يكون الموضوع جديراً بالإقبال عليه، هذه الموضوعية لا تتوفّر إلّا بانعدام وسائل الضّغط وعوامل الإكراه، حتّى يتمكّن العقل المجرّد بما تحقّقت له من حرّية، أن يفحص ويشرح ويحلّل¹، فهذا سيّدنا نوح عليه السلام قد دعا قومه في كلّ الأوقات وبشتى الطرق وبمختلف الأساليب حكيماً لطيفاً محبّاً، لكن لما رفض قومه دعوته لم يعتفهم أو يكرهم عليها، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاننِّي رَحْمَةٌ مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كِرِهُونَ ﴾ هود: ٢٨، ومعنى ذلك: أرايتم إن كنت على يقين وحجة ظاهرة من ربي فيما جئكم به، وخفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها وبادرتم إلى تكذيبها فهل نلزمكم إيّاها بالخير والإكراه، أي: فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفتها والإيمان بما شئتم أو أبيتم والحال أنّكم كارهون لها إنكاراً وجحوداً واستنكاراً؟ أي لا أقدر على ذلك ولا أحاول فعله بالإكراه، لأنّ الإيمان يكون عن رضا واختيار لا عن جبر وإكراه²، فالحوار يبني على عدم الإكراه، ونوح عليه السلام أتاه الله تعالى الرّسالة رحمة منه وزوّده بالأدلة عليها، يقول حسين فضل الله: "... فالحوار إذا أخضع محاوره إلى الإكراه والجبرية فإنّه يتركه ويتبرأ منه مع أوّل وهلة، قال الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦، فاتّباع الحقّ والسعي في التوصل إليه والحرص على الالتزام به هو الذي يقود الحوار في طريقه المستقيم ويحول دون الانسياق وراء الهوى، سواءً كان هوىً شخصياً أو كان هوى المستمعين له أو المحيطين به، ويمنع التعصّب للرأيّ بغير علم ولا هدىً ولا كتابٍ منير، فلا بدّ أن يضع المحاور في ذهنه أنّه ربّما كان لدى غيره شيء، ليتعلّمه منه، فيحرص على أن يظلّ المجال مفتوحاً لتقليب وجوه الرّأي وإثراء الفكر والأخذ بالأمثل والأصوب، دون أن تختلف القلوب وتتفرّق الصفوف".³

وهذا المعنى هو الذي نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إنّ أهل القبور يعذبون في قبورهم،

¹ محمّد التومي، الجدل في القرآن، ص68.

² ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص548.

³ حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ج2، ص24.

قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا، ودخل رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين من عجز يهود المدينة، دخلتا عليّ، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: "صدقنا، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم"، قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر¹، فالتنّي ﷺ صدق قول هذين العجوزين رغم أنهما يهوديتين، وذلك بقوله: "صدقنا إنهم يعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم"، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا بد من قبول الحقّ أيّا كان مصدره.

رابعا: تبادل الاحترام بين الطرفين

فمن الأسباب التي توفر الجوّ المناسب للحوار الالتزام بالاحترام من كلا الطرفين، وذلك بأن يتقيدا بالقول المهذب البعيد عن كلّ طعن أو تحريج، أو هزاء أو سخرية أو احتقار لوجهة النظر التي يدّعيها أو يدافع عنها من يجادلها²، وقد أمرنا القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦، فالسبّ والشتم والاستهزاء والإكراه بالوسائل المادية أسلوب بدائي لا يقرّه ولا يقبله منطق ولا ترتضيه موضوعية³، وبالتالي لا ينبغي أن يتكلّم في حضرة من دأبه التلهّي والتشفيّ لعداوة أو كبر أو... إلخ، فقد كان النبي ﷺ يأتيه الأعرابيّ ويجذبه من رداءه ويغلط له في القول، فيبتسم في وجهه ويعطيه ما يرضيه، ويمرّ عليه اليهود ويسبّونه بقولهم: السّام عليكم، بلا يزيد على أن يقول: "وعليكم".⁴

فلا بدّ إذن من إبداء الاحترام للطرف الآخر، "وحتّى في حالة الانتصار والظهور فإنّه ينبغي للمحاور أن يدع الطرف الآخر يحتفظ بماء وجهه، لأنّ المقصود بيان الحقّ وإزهاق الباطل، دون تعيير أو سبّ أو شتم أو إذلال".⁵

إلى هنا يمكن القول بأنّ الحوار لا يمكن أن يوصف بالنّجاح أو أنّه يؤدي وظيفته التي

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدّعاوات، باب التّعوذ من عذاب القبر، رقم: 6366، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب التّعوذ من عذاب القبر، رقم: 584.

² حبّكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، ج1، ص640.

³ محمّد التومي، الجدل في القرآن، ص89.

⁴ يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص266 بتصرف يسير.

⁵ المرجع نفسه، ص268 بتصرف يسير.

استعمل لأجلها، أو الوصول بهذا الأخير إلى نتائج يحمّد عقباها، إلّا إذا اقترن وقيّد بهذه الآداب والضوابط التي كنّا بصدد طرحها في هذا الفصل، والذي نلاحظه في الأمثلة التي مرّت معنا أنّ كلّ حوار كان من طرفه ﷺ قد اشتمل على تلك الآداب والضوابط، التي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على حلم ورحمة النّبيّ ﷺ. من كان يتعامل معه أيّا كان دينه أو انتماءؤه.

الفصل الثالث:

الأثر التربوي للحوار في ضوء السنة النبوية

المبحث الأول: الآثار الوجدانية والعاطفية

المطلب الأول: محبة الرسول ﷺ

المطلب الثاني: كسب القلوب وتغليب الروح الإنسانية على المادية

المطلب الثالث: نشر المحبة بين الناس

المطلب الرابع: إشاعة الأمن والراحة والطمأنينة

المبحث الثاني: الحوار والإقناع وتصويب الخطأ

المطلب الأول: الدخول في الإسلام

المطلب الثاني: التقليل من شأن الدنيا في النفوس

المطلب الثالث: تهذيب الأخلاق والرجوع عن المعصية

المطلب الرابع: التجاوب والعطاء

المطلب الخامس: تصويب الخطأ

المبحث الثالث: الآثار المعرفية والتوضيحية

المطلب الأول: ترسيخ العلم والإيمان

المطلب الثاني: كشف الحقائق عن كثير من المسائل

المطلب الثالث: ترسيخ المعاني الربانية في النفوس

تمهيد:

تبين من خلال ما سبق معنا في هذا البحث أن النبي ﷺ قد استخدم أسلوب الحوار والمناقشة في العديد من المواقف التربوية والتعليمية مع أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ؛ حيث كان النبي ﷺ يستعمل الأسلوب الحواري الذي يناسب المقام التربوي، هذا وقد نهج الصحابة بدورهم الأسلوب نفسه من بعده ﷺ، لم لا وقد كان النبي ﷺ قدوتهم في كل شيء، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، هذا وقد تنوعت حواراته صلى ﷺ تنوعاً يتلاءم مع حال المخاطب والظروف المحيطة به، حتى يصل بهذا الأخير إلى نتائج طيبة تعود على الفرد والأمة بكل خير، ولهذا نرى أنه ﷺ قد استهدف كل فئات المجتمع في حواراته، وهذا ما قد بيناه في الفصل الأول من هذا البحث، لنصل إلى الفصل الأخير منه، حتى نبين ما للحوار من آثار تربوية جليلة، وذلك من خلال استحضار بعض الأمثلة من السنة النبوية التي نلمس من خلالها تلك المعاني بوضوح وجلاء لا تخفى على ذي عقل.

المبحث الأول: الآثار الوجدانية والعاطفية

فالحاسية الوجدانية حاسة أخلاقية أو حدسية والعاطفة مكتسبة، والحاسيتان مترابطتان، لأن الوسائل العاطفية وسيلة للتنمية الوجدانية إلى جانب طاقة أخلاقية، حيث تدور المعاني الوجدانية في نظر الإسلام حول القلب، إذ هو معدن التقوى والسكينة والوجل والإخبات واللين والطمأنينة والخشوع والتمحيص والطهارة¹، أما العاطفة فهي استعداد عقلي مكتسب يرتبط بموضوع ويؤدي إلى دفع الكائن الحي للقيام بأنواع من السلوك ترتبط بهذا الموضوع، وعرفها بعضهم بأنها عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه مكتسبة بالخبرة والتعلم.²

فلكل تصرف أو سلوك يقوم به الإنسان له بطانة وجدانية ترافقه، قد تكون انفعالاً كامناً لا نشعر به، كالارتياح والرضا، وقد تكون انفعالاً عنيفاً كالدهشة والغضب والخوف، وقد تكون انفعالاً هادئاً كالخشوع أو الحزن، وأن تكرار هذا الانفعال يعمل على ترسيخ أثر السلوك المرافق في النفس، إذا استوفى شروطه، فإن كان سلوكاً فكرياً رسّخ أثره في الذاكرة، وإن كان سلوكاً اجتماعياً تحول إلى عاطفة اجتماعية كالصدقة والأخوة في الله، وإن كان نشاطاً روحياً تحول إلى عاطفة ربانية كالعبودية لله والشكر له، وكمراقبة الله والرجوع الدائم إلى طريقه المستقيم في جميع أمور الحياة³، وعليه فسنبين تحت هذا العنوان بإذن الله تعالى بعض هذه الآثار أو المعاني الطيبة التي نلمسها في الحوار النبوي الذي قد استوفى جميع الشروط والآداب الواجب توفرها في كل حوار، وذلك من خلال عرض بعض الأمثلة من السنة النبوية التي تكون نبزاسا لكل من يريد أن يسلك الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في حياته.

المطلب الأول: محبة الرسول ﷺ:

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: "ما عندك يا ثمامة؟"، فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسلب منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم

¹ سعدون محمود الساموك، هدى علي جواد الشمري، التربية الإسلامية، مؤسسة الوراق، عمان، ط1، 2003م، ص176.

² المرجع نفسه، ص178.

³ عبد الرحمن التحلاوي، التربية بالحوار، ص200 بتصرف يسير.

قال له: "ما عندك يا ثمامة؟" فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتّى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة؟"، فقال: عندي ما قلت لك، فقال: "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثمّ دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله، يا محمّد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلمّا قدم مكّة قال له قائل: صبوت، قال: لا ولكن أسلمت مع محمّد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النّبيّ ﷺ.¹

كلّ هذا التغير والتحوّل في شخصية الرجل هو أثر من آثار الحوار الذي أجراه النّبيّ ﷺ، ومعاملته الرفيقة به، وصبره على دعوته إلى دين الله وعدم إكراهه على ذلك، فمن خلال هذا الحوار استطاع النّبيّ ﷺ أن يحرك قلب ثمامة نحو حبه وحبّ هذا الدّين الذي أصبح في قلبه، ووجه النّبيّ ﷺ أحبّ الوجوه بعد أن كان أبغض الوجوه إليه، وأصبح الإسلام أحبّ الأديان إلى قلبه.

المطلب الثاني: كسب القلوب وتغليب الروح الإنسانية على المادية

وهذا ما نلمسه في الحوار الذي دار بين النّبيّ ﷺ والأنصار عقب غزوة بدر فعن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتّى كثرت فيهم القالة حتّى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيّ من الأنصار شيء، قال: "فأين أنت من ذلك يا سعد"، قال: يا رسول الله ما أنا إلّا امرؤ من قومي، قال: "فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة"، قال: فخرج سعد فجمع النّاس في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردّهم، فلمّا اجتمعوا له أتاه، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم: 4372، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه، رقم: 1764.

الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: "يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم ووجدته وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداءً فألف بين قلوبكم" قالوا: بلى يا رسول الله آمن وأفضل، قال: "ألا تحبونني، يا معشر الأنصار" قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، والله لرسوله المنّ والفضل، قال: "أما والله لو شئتم فلصدّقتهم وصدّقتهم، أتيتنا مكذباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأغنيّاك، أو جدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فوالذي نفسي محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار"، قال: فبكى القوم حتّى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرّقنا.¹

من الواضح في هذه المحادثة أنّها احتوت على جملة من الفوائد نجملها فيما يلي:

— افتتح النبي ﷺ خطبته التي اشتملت على إثارة الانتباه بالسؤال: "ما قاله بلغتكم عني"، ثم استفهام تقريرياً: "ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله بي"، ثم مضمون بليغ يلامس القلوب: "وجدتكم...إسلامكم"، ثم خاتمة بدعاء صادق يأسر النفوس: "اللهم ارحم الأنصار وأبناء أبناء الأنصار..". بهذه الكلمات اليسيرة هيّج النبي ﷺ مشاعر الأنصار ومحا كلّ ما في قلوبهم من الوجد والانعكاس، إنّها كلمات تخرج من فيه الشريفة ﷺ لتقلب الموازين وتسحر المخاطبين.. فماذا كانت النتيجة؟ لقد ملأت تلك الكلمات الجليلة من النبي ﷺ أفئدة هؤلاء سلاماً وأرواحهم وأنفسهم إيماناً وعافية، يقول ابن حجر رحمه الله: "الأنصار شعار والناس دثار، وهي استعارة لطيفة لفرط قلوبهم منه، وأراد أيضاً أنّهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم."²

— استخدم النبي ﷺ الأسلوب الاستفهامي لإثارة العواطف ثم السيطرة عليها وتوجيهها للتوجيه الصحيح، حتّى يتم الاعتماد عليها في المواقف الحرجة كما حصل مع الأنصار.

¹ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، رقم: 11547، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص58.

— أراد الرسول ﷺ بأسئلته واستفهاماته أن يقرّوا بفضلهم علىهم بهدايتهم بعد أن كانوا ضالّين والتأليف بينهم بعد أن كانوا أعداء، ثم لم ينس رسول الله ﷺ أنّهم بشر، فرمما أرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم بشيء من القول فلما استحيوا منه، دافع عنهم بالتيابة عن أنفسهم لئلا يترك في قلوبهم شيئاً من الوجد، فقال: "أما والله لو شئتم لقتلتم فلصدّقتهم ولصدّقتهم، أتيناك مكذبا فصدّقناك...¹ وبعد هذا حرّك النبي ﷺ فيهم العاطفة، حيث أدركوا بعدها أنّه لا قيمة للشّاة والبعير بدون رسول الله ﷺ، فليرجع إذن الناس بالشّاة والبعير ويرجعوا برسول الله ﷺ.

— المتأمل في هذه المحاوره يلمس وبكلّ وضوح كيف أنّ النبي ﷺ قد كسب قلوب الأنصار، فأثروا الحوار بفرحهم بفوزهم برسول الله ﷺ، إضافة إلى أنّ بكاءهم وقولهم بقلوبهم قبل ألسنته: "رضينا برسول الله قسما وحظا"، والدموع تنهمر من شدّة حبّهم لرسول الله ﷺ، حيث قام النبي ﷺ بقلب وصرف أفكار الأنصار من رغبتهم في الدّنيا إلى رغبتهم في بقاء النبي ﷺ معهم، فغرس في قلوبهم إثارة النبي ﷺ على متاع الدّنيا من الغنائم.

— خلق النبي ﷺ من خلال حوارهِ مع الأنصار الجوّ المساعد على إيجاد تلك العاطفة الأخلاقية التي هي عبارة عن تكوين قوّة دافعة وزاجرة في آن واحد، تدفع الإنسان إلى المشاركة القلبية والنفسية مع المبادئ الأخلاقية الحميدة، ثمّ تدفعه إلى السلوك الإيجابي بموجبه وتزجره من جهة أخرى من التعاطف مع الأخلاق الرذيلة، ثمّ تدفعه إلى الوقوف منها موقفا سلبيا دائما، وهذا ما حدث حقيقة في نفوس الأنصار من المعاني الجليلة.

— الاعتماد على العواطف والانفعالات في المواقف الخطيرة يجب أن يسبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه المواقف، فقد ربّى الرسول ﷺ هذه العواطف في نفوس الأنصار حتى أصبح الله ورسوله أحبّ إليهم من المال والولد والناس أجمعين.

— ممّا يمكن أن يستفاد من هذا الحوار التّبويّ التربوي أنّ الحوار وما يصحبه من عبارات الشّاء والشكر للطرف الآخر واحترامه وتقدير فضائله والدعاء له وغيره، كلّ هذا يعتبر وسيلة من وسائل تكوين عاطفة الرغبة في التحلّي بالفضائل واجتناب الرذائل والإرادة في الخير وحبّ الأخلاق الحميدة، يقول ابن حجر رحمه الله: "فنبّههم عمّا غفلوا عنه من عظيم ما احتصوا به بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية... قال الخطّابي: "أراد بهذا الكلام تألّف

¹ زياد محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، دار الكتب والوثائق، بغداد 2001، ص 358.

الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحدا منهم، لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها.¹

المطلب الثالث: نشر المحبة بين الناس

إذ أن الحوار يرفق ولين يفتح مغاليق القلوب ن ويحملها على الحب والطاعة، وهذا ما لمسناه في قول الصحابة، وهم يصفون النبي ﷺ، حيث جاء في الحديث: "ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن معلماً منه، فو الله ما كهربي ولا ضربني ولا شتمني" وذلك حينما تكلم في الصلاة أحدهم، فنهزه الصحابة رضوان الله عليهم، لكن الحبيب ﷺ كلمه بلطف ولين ليعلمه الخطأ من الصواب، فقال له: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس" ²، فأثمرت هذه المحاورة الهادئة وهذه المعاملة اللينة كما وصفها الصحابي - معاوية بن الحكم السلمي راوي الحديث - حباً وانصياعاً، حيث قال الصحابي إظهاراً لهذا الحب: "فبأبي وأمي ما رأيت معلماً..."، وهذا المنهج القويم فتح قلوب العباد لتلقي هدي الله سبحانه وتعالى، وأن ترغيب الناس في دين الله وتشجيعهم وربط قلوبهم به لا يأتي إلا بالتيسير واللين والرفق في الخطاب، فإذا أحب الناس دعوته تفاعلوا معها وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.³

ومن ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فانتهره الصحابة فمنعهم النبي ﷺ عن زجره وكلمه بلطف ولين، أثمر ذلك حباً في قلب الأعرابي للنبي ﷺ ونفورا من تصرف الصحابة حينما زجروه، حتى أنه عبّر عن ذلك الحب وعن ذلك التفور بقوله: "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا"، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أن أعرابيا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فصلّى ركعتين، ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال النبي ﷺ: "لقد تحجّرت واسعا، ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد، فأسرع الناس إليه، فنهاهم النبي ﷺ وقال: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، صَبّوا عليه سجّلا من ماء، أو قال: ذنوبا من ماء."⁴

¹ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص51.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة...، رقم: 537.

³ جمال عبد الستار، التيسير ورفع الحرج وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مجلة قولية، كلية الدعوة الإسلامية القاهرة، العدد16، 2001/ 2002.

⁴ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، رقم: 380، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح أبي داود، مج1، ص112.

المطلب الرابع: إشاعة الأمن والراحة والطمأنينة

عن عروة عن عائشة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضرهم وأسبهم فكيف أنا منهم، فقال له رسول الله ﷺ: "بحسب ما خانوك وعصوك ويكذبونك وعقابك إياهم، إن كان دون ذنوبهم كان فضلاً لك عليهم، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق لهم منك الفضل الذي بقي قبلك، فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: "ما له لا يقرأ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤٧) الأنبياء: ٤٧، فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء، يعني عبيده، إني أشهدك أنهم أحرار كلهم.¹

فقد استخدم النبي ﷺ في حوارهِ هذا عاطفة الرجل تجاه الجنة وخوضه في النار، وترك له القرار والاختيار²، فكان من ثمرة هذا الأسلوب الحواري أن أذعن الرجل لما فيه راحته في الدنيا والآخرة.

— تعتبر العواطف الإنسانية مدخلاً هاماً إلى العقل، فقد لا يسمح لنا بالدخول إلى عقول الآخرين، ولكن قد يسمح باقتحام هذه البوابة العقلية عن طريق العواطف، هذه المشاعر التي تؤثر بدرجات متفاوتة في عملية اتخاذ القرار، وهذا ما شاهدناه في حوار النبي ﷺ مع هذا الرجل، حيث جعله يتنحى ويهتف ويبكي بعد أن سمع جواب النبي ﷺ هذا الجواب الذي كان فيه التفاتة لقلب هذا الرجل إلى الجنة والنار والعقاب، ثم أضاف إلى إجابته ﷺ الدليل الآخر من القرآن الكريم بقوله: "أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤٧) الأنبياء: ٤٧

وهكذا ليكون موقف الرجل من كل ما ذكره النبي ﷺ في حوارهِ بأن قال: يا رسول الله ما

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأنبياء، رقم: 3165 والبيهقي في شعب الإيمان، ت: محمد السعيد زغلول، رقم: 8586 وأحمد في مسنده، حديث عائشة، رقم: 6401، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج3، ص 283.

² مصطفى محمد الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص 188.

أجد لي ولهؤلاء بدا من مفارقتهم أشهدكم أنهم كلهم أحرار.

وهذا الذي نلمسه أيضا في حوار النبي ﷺ مع معاذ رضي الله عنه حينما سأله بقوله: "هل تدري ما حق الله على عباده"، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: "يا معاذ"، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ"، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ"، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "هل تدري ما حق الله على عباده"، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه"، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "حق العباد على الله أن لا يعذبهم."¹

إذ الناظر في هذا الحديث يدرك أن النبي ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي الذي يترك أثرا على الوجدان ويهذب السلوك وينبّه إلى أمر عظيم²، يقول ابن حجر رحمه الله: "ومن الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهمه واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم، ليختبر ما عنده ويبيّن له ما يشكل عليه"³، كما أنه ﷺ استخدم معه أسلوب الاستفهام والمناقشة في توضيح قضايا تربوية تتعلق بالعقيدة الصحيحة، فقام بعرض هذه الأخيرة بأسلوب بسيط وسهل خالي من التعقيد والتكليف، حيث أماط اللثام عن المعنى السامي للعبادة.

— في الحديث يقول معاذ: "ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل" دليل على شدة قربه منه ليكون ما يلقيه عليه من كلام أوقع في نفسه، لكونه أضبط، وأمّا تكريره عليه ثلاثا فلتأكيد الاهتمام بما يخبره به ولتكميل تنبيه معاذ فيما يسمعه.⁴

وعليه فإن الآثار الوجدانية والعاطفية تعتبر من أهم الآثار التربوية للحوار في السنة النبوية، وذلك بإثارة عواطف المتعلمين وانفعالاتهم الوجدانية لما يترتب عليها من نتائج طيبة، تتمثل في انقياد المتعلم للسلوك الحسن والعمل الصالح، ولهذا كان دأب النبي ﷺ في العديد من المواقف

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم: 5967

² محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص 357.

³ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 11، 412.

⁴ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 43، ص 154.

التعليميّة استخدام الحوار بهدف إثارة عواطف المتعلّمين، وتوجيه انفعالاتهم نحو الصّالح من الأعمال، ولعلّ هذا ما لمسناه في المواقف النبويّة التي مرّت معنا تحت هذا المبحث، حيث رأينا كيف أنّ النّبي ﷺ قد قام بصرف نفوس الأنصار إلى ما هو أعلى من الغنم والشاة ألا وهو الفوز برسول الله ﷺ ويا له من فوز بل فلاح في الدنيا والآخرة، وكيف أنّه ﷺ يعمل على نشر الحبّة والأخوة بين النّاس وإشاعة الأمن وبثّ الراحة والاطمئنان في نفوسهم، كلّ ذلك كان عن طريق إجراء الحوار فيما بينه وبين من يخاطبهم.¹

¹ أحمد محمد عقله الرّبون، الحوار التربوي في السّنة النبويّة ودلالاته التربويّة جامعة البلقاء التطبيقية، كليّة عجلون الجامعيّة ، ص5 بتصرف يسير.

المبحث الثاني: الحوار في الإقناع وتصويب الخطأ

إذ يمكن أن نعرّف الإقناع بما عرّفه أحد الكتّاب بقوله: أنّه عبارة عن فعل مؤثّر في الرّأي أو في وجهة النّظر، إذ يتمّ عن طريق المناقشات أو التفسيرات¹، ويعتبر الإيحاء أحد الأساليب التي تستعمل في الإقناع، وهذا الأسلوب تستعمل فيه الإثارة باللفظ إلى الموضوع الذي يدور حوله الحديث من دون التصريح به علانية، أي أنّ ثمة ألفاظاً معيّنة يستعين بها الفرد الذي يروم تغيير اتجاهات الآخر دون أن يشير إلى الموضوع نفسه، كما لا يشعره أنّ القصد من الحديث أو المناقشة التي تجري الآن يراد منها تصحيح فكرة معيّنة أو تعديل اتجاه معيّن لديه، إنّما يحاول أن يجعل الحديث الدائر عبارة عن حديث عام، وأحياناً يراعي أنّ الحديث كان بقصد المتعة أو التسلية لكي لا يشعره بنواياه الحقيقية الكامنة وراء المناقشة أو الحوار.²

وعليه يمكن القول أنّ الإقناع عبارة عن عملية تتقاسمها عدّة مراحل حتى تصل إلى النتيجة المرجوة، وهي التأثير في سلوك الفرد، إمّا بتغييره أو تعديله أو بناء رأي أو اتجاه جديدين.³

ونحن إذا تأملنا هذه التعاريف وجدنا أنّها تركز على التأثير في الآخر، وذلك عن طريق تغيير رأي أو وجهة نظره، ولكي يحدث التأثير فعلة في الآخر، فإنّ الاعتماد على المناقشة أو التفسير يعدّ أسلوباً فاعلاً في الإقناع، وبذلك فإنّ التعريف يركّز على الحوار والمناقشات التي تقدّم للآخر بهدف تغيير آرائه أو وجهات نظره إزاء قضية معيّنة، وذلك حتّى يقوم بتصحيح الخطأ الذي كان يعتقد أنّه صواب، وتحت هذا العنوان أحاول أن أبين من خلال بعض الأمثلة من السنة النبوية أنّ الحوار الناجح هو الذي يصل صاحبه في آخر المطاف إلى إقناع الطرف الآخر الذي يحاوره وتصحيح ما علق في ذهنه من أخطاء.

¹ محمود شمال حسن، الصورة والإقناع، دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، دار الآفاق العربية، ط1، 2006، ص30.

² المرجع نفسه، ص45-46.

³ عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، بني عكنون، الجامعة، 2005، ص50.

المطلب الأول: الدخول في الإسلام

قال تعالى مخاطباً معلّم البشرية الأول سيّدنا محمد ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، فامتثل الرسول الكريم لهذا الأمر الإلهي، وذلك من خلال محاورة غير المسلمين بالتي هي أحسن بهدف إقناعهم بالإسلام، وتأليف قلوبهم بنعمة الإيمان، فقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار التربوي القائم على الإقناع وإقامة الحجج والبراهين العقلية مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد أورد الإمام الترمذي عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنّه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام وكان قد تنصّر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من، ثم من رسول الله ﷺ على أخته وأعطاهها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضّة، وهو يقرأ هذه الآية " اتخذوا أبحارهم ورهباهم أرباباً من دون الله " قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: " بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ". وقال رسول الله صلى عليه وسلم: " يا عدي أضرّك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟، أضرّك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟"، ثمّ دعاه إلى الإسلام، فأسلم وشهد شهادة الحقّ، قال: فلقد رأيت وجهه مستبشراً، ثمّ قال: " إنّ اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون." ¹

- استخدم النبي ﷺ مع عدي رضي الله عنه أسلوب الحوار في شكل سؤال، حيث قام بطرح بعض الأسئلة عليه، وترك له المجال ليحييه عنها، وذلك بعد أن هيأ له الأجواء النفسية للحوار، فلقد عفا عن أخته وأطلقها من الأسر، وحملها الهدايا، فكانت هذه التهيئة الوسيلة المناسبة لعديّ، ليعيد حساباته ويتّخذ القرار بعدها بالدخول في الإسلام.

¹ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، رقم: 3095، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج 3، ص

المطلب الثاني: التقليل من شأن الدنيا في النفوس

فقد حاور الرسول ﷺ أصحابه بهدف إقناعهم بهوان الدنيا وقلة شأنها عند الله يوم القيامة، وذلك عندما أقسم بأن مكانة الدنيا وقلة شأنها عند الله عز وجل كحال الجدي الميت قليل الشأن عند أهل الدنيا، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : " أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس على كنفته، فمرّ بجدي أسكّ ميت فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: "أيكم يحبّ أن هذا له بدرهم؟" فقالوا: ما نحبّ أنّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: "أتحبّون أنه لكم"، قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنّه أسكّ، فكيف وهو ميت؟ فقال: "فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم".¹

المطلب الثالث: تهذيب الأخلاق والرجوع عن المعصية:

مما لا مرأى فيه أن الإنسان إذا أقرّ بصلاح عمل أو فساد به نفسه، سيكون ذلك ذا أثر كبير في سلوكه وتوجيهه، وبذلك كان يحاور رسول الله ﷺ في سبيل الإقناع وإقامة الحجّة عن طريق سؤال المتعلّم أو المخاطب عمّا يعرفه بالحسّ والبدهة، ثمّ يبيّن على الجواب ما يريد بنائه من استجواب آخر، حتّى يصل إلى الإقناع بكلّ ما يريد تعليمه إياه أو إقناعه به، وهذا ما حدث مع ذلك الشاب الذي استأذن النبيّ ﷺ في الزنا، حيث استعمل النبيّ ﷺ معه نفس الأسلوب، وكان له الأثر نفسه، حيث أوصل الرسول ﷺ بحواره الشاب إلى قناعة تامة بخطر الزنا، وذلك من خلال محاورته وإثارة الغيرة الكامنة في نفسه على أمّه وأخته وأهل بيته، فأقرّ في الأخير بأنّ هذا الأمر المنكر الشنيع الذي يفعله في أعراض الناس وهم غافلون، يمكن أن يفعله غيره مع أهل بيته وهو غافل، وبعد اكتمال علاج العقل استخدم معه علاج الروح، فدعا الله تعالى له أن يطهّر قلبه ويحصّن فرجه.²

فالنبيّ ﷺ راعى حال الشاب فلم يعنّفه، بل أدناه قريباً منه وأجلسه وحواره بكلّ لطف، وبعد أن اقتنع الشاب من خلال تلك الأسئلة الخمسة التقريرية وضع النبيّ ﷺ يده الشريفة عليه، وفي ذلك مزيد عطف وحنان، ولم يكتف بذلك، بل دعا له وهو يسمع ثلاث دعوات هو بأمسّ

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد، رقم: 2957، والبخاري في الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مذيبة بأحكام الألباني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ / 1989م، رقم: 962.

² محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية، ص361.

الحاجة إليها، فكانت النتيجة أن طابت نفس ذلك الشاب ورجعت عن المعصية التي كان قبل قليل تتوق نفسه إليها، و لم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

ومما يعزّز هذا المعنى ذلك الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ وبين أبي الوليد، حيث تعلّمنا رسول ﷺ كيف أنّ أولى مراحل الانتصار أن تهزم عدوك من داخله، وعتبة لم يسلم، ولكنه هزم نفسيا أمام نصاعة الدعوة وبلاغة القرآن، وبهذا الأسلوب من الأدب الرفيع استطاع النبي ﷺ أن يجيد رأسا من رؤوس الكفر ويجعله ينسحب ووراءه جمع كبير هم قبيلة بني أمية، وهذه سياسة حكيمة ودعوة بصيرة.¹

المطلب الرابع: التجاوب والعطاء

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلّى فمرّ على النساء، فقال: " يا معشر النساء تصدّقن فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار. " فقلن: وم يا رسول الله ؟ قال: " تكثرنّ اللّعن وتكفرنّ العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكنّ "، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل "، قلن: بلى، قال: " فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم "، قلن: بلى، قال: " فذلك من نقصان دينها "2، حيث استغربت النساء أن يكنّ ناقصات عقل ودين، وهنّ يساهمنّ على نفس مستوى الرجال في بناء المجتمع، فيحاورهنّ النبي ﷺ كاشفا عن أسباب ذلك، ممّا يسهّل عليهنّ الاقتناع بالأمر³، يقول ابن حجر -رحمه الله -: " وفي الحديث أيضا مراجعة المتعلّم لمعلّمه، والتّابع لمتبوعه فيما لا يظهر له معناه، وفيه ما كان عليه الصّلاة والسّلام من الخلق العظيم والصّفح الجميل والرّفق والرّأفة، زاده الله تشريفا وتعظيما "4، إذ حاول النبي ﷺ من خلال طرحه الذي افتتح به الحوار أن يرغب النساء فيشاركن معه المحادثة والمناقشة لتكون أبلغ في نفوسهنّ، حيث أعلمهنّ بأنهنّ أكثر أهل النار، وهكذا حتّى يستفسرنّ بعد ذلك عن السبب، ثمّ يجيبهنّ عن استفسارهنّ بأنهنّ يكفرنّ العشير ويكثرنّ اللّعن، وهكذا حتّى يصل بهنّ إلى الاقتناع بما يريد أن يوصله إليهنّ، ونفس الأسلوب

¹ فرحات محبوب، ضوابط الحوار في الدعوة الإسلامية، رسالة ماجستير، إشراف: عمر لعويّرة، 1420هـ، ص273.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم:304.

³ مصطفى الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص190.

⁴ ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص407.

سلكه معهنّ لما أراد أن يخبرهنّ بأنّهنّ ناقصات عقل ودين، فنرى من نتائج هذا الحوار مع النساء أن استجبن له ﷺ وتفاعلنّ معه، يقول بن بطّال رحمه الله: " وفيه أنّه على الخطيب في العيدين أن يفرد النساء باللقاء لمنّ والموعظة، ويخبرهنّ بما يخصّهنّ من تقوى الله والتّهي عن كفران العشير، وما يلزمهنّ من ذلك، إذا لم يمكنه إسماعهنّ، فحينئذ يمرّ بهنّ ويعظهنّ بالكلمة والكلمتين في موضعهنّ كما فعل النبيّ ﷺ.¹

المطلب الخامس: تصويب الخطأ

فقد كان النبيّ ﷺ يستعمل مع المخطئ الحوار أحيانا حتى يقتنع بخطئه فيوجّهه إلى الصواب ومن أمثلة ذلك: عن عامر بن سعد عن أبيه قال: "قسم رسول الله ﷺ قسما، فقلت: يا رسول الله! أعط فلانا فإنّه مؤمن، فقال النبيّ ﷺ " أو مسلم" أقولها ثلاثا، ويردّها عليّ ثلاثا " أو مسلم"، ثم قال: "إني لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه، مخافة أن يكبه الله في النار"²، فقد استعمل النبيّ ﷺ الحوار حتى أقنع سعدا بأنّه يعط الرجل ويترك الآخر خشية أن يكبه الله في العذاب الشديد يوم القيامة.

ومن ذلك حديث أنس المتقدم "لما أفاء الله على رسوله من أموال هوازن حين أعطى النبيّ ﷺ بعض أشراف قريش ولم يعط الأنصار فوجدوا في ذلك..." إذ يتبين من خلال هذا الحديث أهميّة الحوار والإقناع في تغيير الآخرين إلى الصواب، وكذلك فعل النبيّ ﷺ مع الأنصار بأسلوب رقيق حتى بكوا وتأثروا بقوله وأعلنوها بقولهم: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا.

ومن ذلك أيضا عن النعمان بن بشير قال: "إنّ أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال إني نخلت ابني غلاما ما كان لي، فقال رسول الله ﷺ: "أكلّ ولدك نخلته مثل هذا؟" فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: " فارجعه."³

"قوله: "أيسرك؟": أعجبك ويجعلك مسرورا ؟ أن يكونوا أي أولادك جميعا إليك في البرّ سواء أي مستوين في الإحسان إليك، وفي ترك العقوق عليك وفي الأدب والحرمة والتعظيم لديك

¹ ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص420.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من خاف لإيمانه، رقم:150.

³ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم: 2586 ومسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم: 1623.

قال: بلى، قال: فلا إذن، أي إذا كنت تريد ذلك، فبين له ﷺ حقيقة الأمر وأظهر له علة الحكم ليوقفه على الدليل بقوله: "أيسرّك أن يكونوا إليك في البرّ سواء"، ومعلوم أنّه يسرّه ذلك كما أنّه إن فعل وأعطى واحدا وترك الباقيين فإنّهم لا يجتهدون في برّه ولا يسارعون إلى مودّته، هذا إذا لم يحصل منهم ما يجرّهم إلى العقوق والشحناء، فانظر إلى كمال تربية هذا النبيّ الكريم والرسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم.¹

عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أنّ رجلا أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ولدي غلام أسود، فقال: "هل لك من إبل؟" فقال: نعم، قال: "ما ألوانها؟"، قال: حمر، قال: "هل فيها من أورك؟"، قال: نعم، قال: "فأتى ذلك؟"، قال: لعلّه نزعه عرق، قال: فلعلّ ابنك هذا نزعه."²، فلو قال له ﷺ إنّ اللون لا دخل له في إلحاق الولد ونفيه ما دام أنّه ولد على فراشه وفي مدّة يمكن إلحاقه به لكان كافيا، ولكنّه ﷺ أراد أن يبيّن له وجه الحكم، ليقف منه على الحقيقة ويستمسك منه ببرهان فأعاده ووجّه نظره إلى نظيرها ممّا هو مسلّم لديه ومعلوم عنده، ليقيس المجهول بالمعلوم ويردّ المشكوك منه إلى اليقين منه.

ممّا يمكن أن نستخلصه تحت هذا العنوان أنّ الحوار لن يكون له الأثر الإقناعي وإقلاع المخطئ عن الخطأ إلّا إذا استوفى شروطا جوهرية، هذه الأخيرة التي ضمّنتها حوارات النبيّ ﷺ في تعامله مع الناس وفي حوارهم معهم، فلتكن فيه أسوة حسنة.

¹ الحسيني، محمد صلّى الله عليه وسلّم إنسان كامل، دار الشروق، جدة، ط4، 1408هـ/ 1987 م، ص290.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد، رقم: 5305.

المبحث الثالث: الآثار المعرفية التوضيحية

إن الصيغ اللفظية التساؤلية والاستفهامية في نصوص الحديث النبوي أو الجمل والعبارات التي أورد فيها الرسول ﷺ أدوات الاستفهام المختلفة، كانت ترد بصورة متعددة، من أبرزها عرض الأسئلة أثناء التفاعل اللفظي، لتصحيح إجابة سابقة بصورة ذاتية من المتعلم، بعد توجيهه المعلم، وهو ما يطلق عليه اسم السير، هذا الأخير الذي هو عبارة عن نوع من الاستراتيجيات التي تشير إلى احترام المعلم في طرح الأسئلة أو استخدام عبارات تحت المتعلم على الإلمام بالإجابة، التي افتقر إليها أو تصحيح إجابته الأولية أو الأصلية الخاطئة أو الناقصة أو الغامضة أو السطحية أو الحالية، وتمكينه من إعطاء دلائل يثبت بها صحة إجابته، ويظل الحوار بين المعلم والمتعلم حتى يعرف هذا الأخير الإجابة الصواب أو يصحح إجابته أو يكملها أو يوضحها أو يعمقها أو يثبت صحتها، والتبني ﷺ قد استخدم هذه الطريقة باستفاضة لكي يعلم المتلقين أمور دينهم وديانهم¹، وهذا ما سأحاول أن أبينه تحت هذا العنوان، كيف أن النبي ﷺ جعل الحوار أسلوباً له في تعليم الصحابة، وكيف أثر هذا الأخير آثاراً معرفية وعلمية طيبة.

المطلب الأول: ترسيخ العلم والإيمان

عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثني ما هي؟" فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ: "هي النخلة"، قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا.²

- في سؤال النبي ﷺ أمام مختلف الأعمار، دليل على أن التعليم لا يقتصر على فئة عمرية دون أخرى، بل العلم مطروح على الجميع ولا بد أن يكون التعليم والمعرفة مستمرة مع حياة المسلم.

- هذا يعطينا القدوة في رسول الله ﷺ، لأنه يغرس في نفوس الناشئة كثيراً من المبادئ الحسنة وكثيراً من القيم المرتبطة بالتربية البيئية.³

- في الحديث لطيفة من اللطائف وهي أن النبي ﷺ جعل نوعاً من الفسحة أمام الحاضرين،

¹ رفعت محمد مزيد، التربية البيئية في ضوء السنة النبوية، دار العلم والإيمان، ط1، 2008 م، ص264 بتصرف.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم:131، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم:2811، والترمذي في سننه، كتاب الأمثال، باب المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ، رقم:2867.

³ رفعت محمد مزيد، التربية البيئية في ضوء السنة النبوية، ص265.

حتى يجيئوا بما يرون بكل حرية، كل حسب قدراته حتى الصغير لا يمنع من ذلك، مما يشجع الجميع على إبداء الرأي والمشاركة والتفاعل المعرفي الحقيقي.

- أراد النبي ﷺ أن يلقي الدرس المتعلق بالبيئة في صورة مسألة أو مشكلة، وطلب منهم الإجابة والحل، حتى يعمل تفكيرهم ويحدث انتباههم ويزيد من استجابتهم له، ويثير اهتمامهم إلى التفقه والمعرفة.¹

- استخدم النبي ﷺ الحوار، حيث جعل المتعلمين يشاركونه الحوار بإبداء الرأي: "فوقع الناس في شجر البوادي" وهكذا حتى توصل أحدهم وهو ابن عمر وكان أصغرهم إلى الإجابة الصواب.

المطلب الثاني: كشف الحقائق عن كثير من المسائل

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: "يا محمد أخبرني عن الإسلام"، فقال رسول ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: "فأخبرني عن الإيمان"، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: "صدقت"، قال: "فأخبرني عن الإحسان"، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قال: "فأخبرني عن الساعة"، قال: "ما المسؤول عنها أعلم من السائل"، قال: "فأخبرني عن أمارتها؟" قال: "أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال: "يا عمر أتدري من السائل"، قلت: "الله ورسوله أعلم"، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم."²

كان السؤال في هذا الحديث من طرف جبريل عليه السلام عن ماهية الإسلام، أو بما يراد

¹ أمينة أحمد حسين، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ص256.

² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان... رقم: 50 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان....، رقم: 12.

به أو يفهم منه المعنى اللغوي للإسلام، ولكن الرسول ﷺ أجابه عن أركان الإسلام، وقد سلّم السائل بذلك حين قال: " صدقت "، ونفس الشيء عن سؤاله عن الإيمان، إذ كان الجواب عن أركان الإيمان، وقد سلّم جبريل عليه السلام بذلك.

2 - موقف المحاور في هذه الحالات أن يهمل الجواب وينصرف إلى جانب آخر لتحقيق مجموعة من الأهداف:

- يوحى للسائل بأنّ واجبه أن يسأله عما يهّمه ويحقق له الفائدة المرجوة.
- توجيه الفكرة للاتجاه الصحيح الذي ينفع المؤمن في عقيدته وحياته، وتصحيح الأفكار، لأنّ العقول أصبحت مزدحمة بكثير من المفاهيم التي تمنعهم من وضوح الرؤية.
- إجابة السائل عما يريد، فقد لا يستطيع طرح سؤاله بالطريقة الصحيحة، فالمحاور يجبّ عليه أن يرأف به، ولا يفضحه ولا يعتقه، بل يجيبه عن مسأله، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان المحاور عليماً بأحوال الناس وظروفهم.
- قد يتعمّد السائل طرح السؤال وإحاطته بالغموض، لأنّ الموضوع خاص لا يريد الاطلاع عليه من قبل الناس، فالمحاور يجيبه بالطريقة التي يفهمها دون أن يخرج الموضوع عن سرّيته، لئلا يفضح السائل.
- لإفادة السامعين الحاضرين وذلك ثمة لا يجب التغافل عنها.¹
- والذي يمكننا أن نستنتجه من هذا الأسلوب الحوارى النبويّ توجيهها نبويّاً كريماً لمعلّمي هذا الزمان ومربيه، بضرورة تشجيع المتعلمين في أن يكونوا المبادرين في طرح السؤال، لما في ذلك من أثر تربوي كبير، يتمثل في اختيار المتعلمين الموضوعات التعليمية التي يرغبونها، الأمر الذي يكون أشدّ أثراً ووقفاً في نفوسهم.

- كان من نتائج هذه المحاور الطيبة بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام، في حضرة الكثير من الصحابة أن تعرّف الصحابة رضوان الله عليهم على الكثير من المعاني العظيمة، والتي يدور الإسلام كلّها عليها، فقد تعرّفوا على أركان الإسلام، والإيمان وعلى علامات الساعة، والإحسان الذي هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا حتى يحفزهم بعد أن أدركوا

¹ فرحات محبوب، ضوابط الحوار في الدعوة الإسلامية، ص181.

هذه المعاني الجليلة على المضي في الطريق المستقيم على بصيرة من أمرهم.

المطلب الثالث: ترسيخ المعاني الربانية في النفوس

حيث استخدم النبي ﷺ الحوار لتوضيح الكثير من الأمور التي أشكلت على الصحابة، وتعريفهم بالعديد من الحقائق المعرفية التي عجزوا عن فهمها والوقوف على معانيها، وذلك من خلال التركيز على أسلوب طرح السؤال للكشف عن مدى فهم المتعلمين ومعرفتهم، ثم يتولّى بعد ذلك ﷺ مهمة الإجابة عن الأمور التي سأل عنها.

لقد ظهر هذا الأسلوب التربوي الفريد في عدة أحاديث، لعلّ من أبرزها حديث أبي هريرة عن الرسول ﷺ عندما سأل أصحابه قائلاً: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "ذكرك أخاك بما يكره"، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته".¹

ففي الحديث نجد أنّ الرسول ﷺ قد اتخذ من الأسلوب الحواري طريقة تربوية لتوضيح الفرق بين الغيبة والبهتان، وهي من الأمور التي لا يستطيع الصحابة فهم معناها وإدراك حقيقتها، لولا أنّ بينها النبي ﷺ، فهو من أوتي القرآن ومثله معه، والمتأمل في آي الذكر الحكيم يجد أنّ الله تعالى استخدم الأسلوب الحواري في تربية المؤمنين وتنقية سرائرهم من الغيبة، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (١٢) الحجرات: ١٢.

- في هذه المحاورة سؤال وجواب بين النبي ﷺ والحاضرين معه أدّت إلى تثبيت المعنى في نفوسهم رضوان الله عليهم، ذلك أنّ "في السؤال إثارة نفسية لتقوية الانتباه لتقبل المعلومات، وهذا من الأساليب التربوية التي استعملها الرسول ﷺ مع أصحابه".²

وهذا الذي يظهر أيضاً في حديث المفلس، حيث "بين النبي ﷺ للصحابة وعلمهم أنّ الغني يوم القيامة في ميزان القيم الربانية التي يزن بها أعمال العباد: هو من أغنى حياته بالأعمال الصالحة دون أن يكون قد أذى أحداً أو غشّ أحداً، وأنّ حقوق العباد لا تضيع عند الله تعالى، بل يقتصر

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم: 2589.

² يوسف خاطر حسن الصوري، أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى، ص 49.

لهم ممن ظلمهم يوم القيامة، وأنّ المفلس من حبط عمله بسبب ما أكل من حقوق العباد"¹، فعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "أتدرون من المفلس"، قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "إنّ المفلس من أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثمّ طرح في النار." ²

"حيث تأتي مراحل الحوار هنا في صورة واضحة مبسطة، فالمرحلة الأولى تتجلى في سؤال النبي ﷺ وجواب الصحابة ليتبين به ما عندهم من خبرات حول موضوع السؤال، أمّا المرحلة الثانية فجاءت ضمن المرحلة الثالثة، لأنّ الموضوع لا يحتاج إلى نقاش مع المتعلمين، فالصحابة يؤمنون بالقيم التي سيأتي الجواب الأخير موافقا لها حسب أولوياتها وسلّمها، ثمّ تأتي المرحلة الثالثة ليقرّر الرسول ﷺ معنى المفلس عند الله تعالى وموقفه يوم القيامة." ³

يمكن القول في خاتمة هذا المبحث أنّ النبي ﷺ قد استخدم أسلوب الحوار في التربية في الحلقات التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، "وهي طريقة تدفع بالمتعلمين إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عمّا لا يدركه من الحقائق، وهي طريقة لا يمكن للمتعلّم أن يكون سلبيا أو مصدّقا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد توجّه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة." ⁴

كما يمكن أن يقال أنّ الرسول ﷺ كان كثير الاستعمال للطريقة الحوارية مع أصحابه ومع غيرهم من المشركين وأهل الكتاب، حيث كان يستعمل الاستجواب في كثير من الأحوال، للوصول إلى فكرة معينة يعجز الصحابي عن الجواب عنها، فيسأل الرسول ﷺ فيجيبه ويعلمه، وبذلك تحصل له المعرفة.

وعليه فإنّ "الحوار يعدّ أسلوبا من أهمّ الأساليب في التعليم والتعلّم، بل إنّ صياغته تعتبر

¹ عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، ص 129.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: 2581.

³ عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، ص 129.

⁴ عبد الجواد سيّد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ت: عبد الغني عبّود، دار الفكر العربي، ص 333.

فنا له شروطه وطريقته يستخدمه المربون استخداما له أهدافه في مجاهم¹، وهذا ما قمنا بإثباته من خلال الأمثلة من السنّة النبويّة الشريفة، وما تزال له فعالية وشيوع في أساليب التعليم منذ القدم وحتىّ اليوم.

¹ علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ / 1988م، ص153.

الختام

من خلال ما تقدّم من هذا البحث يمكن أن تظهر للباحث عدّة نتائج نجملها على النحو التالي :

- يعدّ الحوار أسلوباً في التعامل مع الآخرين ، بل من أهمّ الأساليب التي لا بدّ أن تراعى أثناء التّربية والدّعوة ، ذلك أنّه الوسيلة الأمثل في الاتّصال والتّواصل الصّحيح مع الآخرين وفهم مرادهم ، وبالتالي مراعاة أحوالهم ، كما هو السّبب في فتح الكثير من المغاليق وتذليل صعوبة فهم الآخرين ، وبالتالي سهولة التعامل معهم .

- عدم اقتصار الحوار على فئة دون أخرى ، بغضّ النّظر عن الانتماءات الفئويّة للأطراف ، وهو ما لمسناه في الفصل الأوّل من هذا البحث ، فقد حاور النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جميع الفئات .

- تجلّى الحوار الهادف في التّصوص القرآنيّة أثناء عرض القرآن للقصص التي تجسّد فيها الحوار أسلوباً ماتعاً من خلال ما دار بين الأقوام وأنبيائهم .

- آداب وضوابط على المحاور التّقيّد بها أثناء حوارهم ، كإخلاص النّيّة لله عزّ وجلّ ، والتّجرّد في طلب الحقّ ، مع التّدرج في عرض الموضوعات ، بهدف الوصول إلى نتائج تعود على جميع الأطراف بالخير .

- يغرس الحوار القيم الفاضلة والتّبيلة في نفوس الناشئة خاصّة ، كما أنّه سبب في دخول غير المسلمين في دين الله تعالى .

- يفتح الحوار المجال واسعاً أمام الذين نحاوهم ، ليعبّروا عن مرادهم بكلّ حرّيّة .

- ضرورة اعتماد المربّين على نهج الحوار التّبويّ في العمليّة التّربويّة والدّعويّة ، ومنها اعتبار الحوار كأسلوب تربويّ ، كما درج عليه الأنبياء والرّسل في دعوتهم إلى الله تعالى .

ملخص البحث

ثبت أنّ الحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين أو فئتين من الناس ، يتمّ بينهما كلام وتحدث ، بالتداول بطريقة متكافئة ، يغلب عليها الهدوء وتجنّب الخصومة والتعصب .

ومن مرادفات الحوار : الجدل والمناظرة ... وبين هذه الألفاظ عموم وخصوص ، إذ الحوار لفظ عامّ يشمل تلك الأساليب كلّها .

وللحوار منزلة الشرعيّة والحضاريّة من خلال القرآن الكريم ، حيث لم يخل القصص القرآني كلّ من ذلك الأسلوب الأمثل الذي اعتمده جميع الأنبياء والرسل مع أقوامهم في الدّعوة إلى الله تعالى ، وقد بيّنّا ذلك بالأمثلة .

كما للحوار نصيبه الأوفر في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهديه الشّريف ، وذلك لطبيعة الرّسالة ومتطلّباتها ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد استعمل أسلوب الحوار والمناقشة في العديد من المواقف التّربويّة والتّعليميّة ، فلم يدع صغيراً ولا كبيراً ، رجلاً أو امرأة ، مسلماً أو كافراً ، إلّا وسلك معه الحوار أسلوباً وسبيلاً روما للاستقامة والرّجوع إلى الحقّ .

وتحقيقاً لمقصد التّحاور النّاجح رسمت السّنة النّبويّة الشّريفة المنهجية لذلك ، فأرست ضوابط بين يدي المحاور والمتحاور معه ، فكانت بمثابة آداب شرعيّة يتحلّى بها كلّ طرف أثناء ذلك وهي:

- التّجرّد في طلب الحقّ وقصده .
 - مقت الجدال في تعصّب ، ونبد المجادلة في تخاصم .
 - عدم اتّهام النّيّات والتّوايا .
 - الاهتمام بالأهمّ في عرض الموضوعات .
 - مراقبة الله عزّ وجلّ أثناء الحوار .
 - الالتزام بالموضوعيّة والواقعيّة أثناء التّحاور .
- فبهذه الآداب يثمر التّحاور أثراً تربويّة جليّة تعود على كلّ الأفراد والمجتمعات بالخير قد يتمثّل أيضاً في:

أ - الآثار الوجدانيّة والعاطفيّة ، ككسب القلوب وتغليب الرّوح الإنسانيّة ونشر المحبة

والتسامح وروح التعايش وكذا إشاعة الأمن والطمأنينة بين الناس .

ب - قوة الإقناع وتصويب الخطأ ، وبالتالي تحبيب الناس في الإسلام وتهذيب أخلاقهم .

ج - الآثار الثقافية والمعرفية المتمثلة في ترسيخ العلم الصحيح بالبرهان والدليل في النفوس ، واكتشاف حقائق المسائل والاقتناع بها منطقياً وعقلياً .

والحمد لله رب العالمين .

Summary of the research

The dialogue is a speech between two persons two groups or two categories of people they get into a talk . dialogue is characterized by equity humble cool and without violence and subjectivity.

The synonym of dialogue is debate and speech contraction and between the two concepts we find certain specificity and generalization but the concept of dialogue englobe all of these methods .

The dialogue is considered in the Shari'a and the civilisation of Islam from the Quran so that we find the stories of Quran that have used it and it was the way of Prophet when they have called their people to the way of Allah.

We can say also that dialogue has a large place in the life of the Prophet (peace be upon him) and its directives and its was the nature of its mission of Islam and its prerogatives.

The Prophet (peace be upon him) has used the method of dialogue in discussing a lot of tutorial and education issues and did not leave anything whatever small or big, man or woman Muslim or apotre that have not just used the dialogue withe him as a way of pursuing the truth and following the right way in order to reach the essence of dialogue the traditions of the prophet has built a method for a dialogue and expressed its rules between the two interlocutors and it was the moral conditions that bind each one during the dialogue which are as follows:

- _ To be sincere in pursuing the truth and mean it.
- _ Hate the subjective debate and get rid of troubles in talking.
- _ Do not accuse the good will of people.
- _ To be aware of Allah when getting into dialogue.
- _ To be objective e and realist when getting into dialogue.

In this way the dialogue will give a lot of benefits in education to the people and groups and it will embrace the following points:

- a. It will influence the feelings such as acquiring the hearts of people and prevailing the human spirit and spreading love tolerance and living together and also spreading safety between people.
- b. It will give the power of persuasion and adjusting the wrong doings so that it will convince people in Islam and enhance their morality.
- c. There are some cultural informational repercussions which help in strengthening a good science through evidence and discovering the truths of some actions and to be logically and intellectually convinced with it.

Résumé:

Il est prouvé que le dialogue est la conversation entre deux personnes, deux groupes, deux catégories de gens, se déroule la parole et la discussion circule d'une façon égalé, dominée par le calme, évité la dispute et l'intolérance.

Parmi les synonymes: la controverse et le débat...et parmi ces mots le spécifique et le générale, ou le dialogue est une expression globale comprend des procédés.

Et le dialogue a sa place légitimé et civilisé a travers le saint coran et les histoires coranique ne sont sans de cet idéal style que tous les prophètes et les apôtres avec leurs gens et les appelés au chemine de Dieu le Tout-Puissant et on a clarifié tous ça avec des exemples.

Le dialogue occupe aussi une plus grande partie dans la vie du prophète (Prier & Paix soit sur lui) et son honoré guide selon la nature du message et ses exigences. Car le prophète à utilisé le style de dialogue et la discussion dans de nombreuse situations éducatives et instructives ou il na pas épargner ni le grand ni le petit, ni l'homme ni la femme, ni le musulmane ni l'aposté comme une méthode pour suivre la juste voie de la vérité, et le retour vers le droit et la réalisation de l'intention.

Et pour achevé la bonne intention d'un dialogue réussi, et pour ce là la tradition prothétique honoré a dessinée une méthode qui a fondée des règles entre les mains du dialoguer et son dialoguant comme des disciplines légales se comporte avec au court de la conversation sont:

- Être sincère dans la poursuite de la vérité et l'admettre (impartialité).
- Abhorré le débat en l'intolérance, et éviter la controverse en disputant.
- Ne pas accusé les bonnes intentions des gens.
- S'intéressé par l'essentiel on exposant les sujets (susciter l'intérêt).
- Sentir la surveillance du Dieu le Tout-Puissant durant le dialogue.
- Se comporté avec subjectivité et se engagent au réalisme on discutant.

Avec ses éducatifs le dialogue aura des effets solennelle influencera tous les individus et les sociétés et se présentés dans:

a)-Des effets sentimentaux et émotionnels: comme priorité a gagner les cœurs et l'esprit de l'humanité et évoquer la tolérance publié et l'amour et la coexistence aussi remueur les valeurs de la sécurité et la paie.

b)-La force de la conviction, la correction des fautes et alors convertir les gens a aimés l'Islam et correction et raffinement de leurs morales.

c)-Les effets éducatives et connaissables par le soulèvent de la science et ça consolidation et par la découverte des issues faits et ce convaincre logiquement et mentalement par eux.

-« Louange à Allah, Seigneur des Mondes »-

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات الكريمة

_____ مرتبة حسب ورودها في المصحف _____

الصفحة	رقم الآية	السورة
الفاتحة		
19	1	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
19	2	﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
19	3	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
19	4	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾
...19	7 — 6	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ... ﴾
البقرة		
26	33 — 30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ ... ﴾
81	42	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾
32	83	﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾ ﴾
109	256	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... ﴾
آل عمران		
102 — 94	66	﴿ هَتَأْتُمْ هَتُولاَءَ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ... ﴾
46	144	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾
النساء		
101	35	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ... ﴾

15	59	﴿ فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَزِدْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
المائدة		
51	41	﴿ يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ ... ﴾
51	44	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾
51	47	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
40	67	﴿ يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ... ﴾
101	95	﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ... ﴾
الأنعام		
93	91	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾
40	103	﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
الأعراف		
101	32	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... ﴾
31	43	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ... ﴾
31	44	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ... ﴾
31	46	﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ ... ﴾
31	47 — 49	﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
31	50	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ ... ﴾
31	50 — 51	﴿ قَالُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ... ﴾

97 — 95	59	﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
79	199	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ... ﴾
التوبة		
57	84	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ... ﴾
36	128	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... ﴾
هود		
27	26 — 25	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ... ﴾
27	27	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْبُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ... ﴾
109 — 28	31 — 28	﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِئِي ... ﴾
82 — 14	32	﴿ قَالُوا يَسْنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾
28	35 — 33	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾
29	40	﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾
28	42	﴿ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾
28	43	﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ ﴾
29	45	﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ... ﴾
29	46	﴿ قَالَ يَسْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾
29	47	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾
78	51	﴿ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْ ... ﴾
48	112	﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا ... ﴾
يوسف		

95	39	﴿يَصْحَبِ السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ...﴾
96	40	﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا ...﴾
إبراهيم		
32	26 — 24	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...﴾
الحجر		
26	39—32	﴿قَالَ يَبْنَائِيلُسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ...﴾
النحل		
ب — 18 — — 94 — 24 122	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾
94— 13	125	﴿وَجَدَلْتَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
الإسراء		
32	53	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ...﴾
50	85	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...﴾
الكهف		
22	34	﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾
22	37	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ ...﴾
14	54	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ...﴾
14	56	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...﴾
29	70 — 65	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ...﴾
29	71	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ...﴾

30 — 29	72	﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾
30	73	﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾
30	74	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ... ﴾
30	75	﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾
30	78 — 77	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنْبَأَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا ﴾
مریم		
103 — 85	43	﴿ يَتَابَتِ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ... ﴾
97	45	﴿ يَتَابَتِ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ... ﴾
طه		
32	44	﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾
104	59	﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾
105	73 — 72	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا ... ﴾
الأنبياء		
22	24	﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ ... ﴾
119 — 98	47	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ... ﴾
83	87	﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ﴾
الحج		
102	8	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾
106 — 32	24	﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾
المؤمنون		
27	32	﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾

الشعراء		
78	109	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
النمل		
23	64	﴿ أَمَّنْ يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... ﴾
40	65	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ ... ﴾
القصص		
23	74	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾
العنكبوت		
110 – 17	46	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
48	63 – 61	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... ﴾
لقمان		
85	19	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ... ﴾
الأحزاب		
101	6	﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ... ﴾
سبا		
23	43	﴿ وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَبِهَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ ... ﴾
108 – 24	46	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَاخٍ وَفَرَدَىٰ ... ﴾
الصفّات		
19	23 – 20	﴿ وَقَالُوا يَنْوِيْلُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ... ﴾
19	25 – 24	﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ... ﴾
19	26	﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسَامُونَ ﴾

19	28 — 27	﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ... ﴾
20	30 — 29	﴿ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ... ﴾
ص		
82	21	﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾
82	26	﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾
الزمر		
52	67	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾
غافر		
—14 —13 17	4	﴿ مَا يَجِدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾
14	5	﴿ وَجَادِلُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ... ﴾
الشورى		
40	51	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ... ﴾
الزخرف		
101 — 14	58	﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾
الجاثية		
23		﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾
الحجرات		
85	2	﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾
88	11	﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾
131	12	﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ ... ﴾

التجم		
40	7	﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾
40	13	﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾
20	23 — 21	﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ... ﴾
20	25 — 24	﴿ أَمْ لِلْإِنسَنِ مَا تَمَنَّى ... ﴾
المجادلة		
—16 — 15 22	1	﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ تَحَاوَرَكُمَا ۚ ۖ ﴾
القلم		
ب	4	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ... ﴾
نوح		
27	1	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ ... ﴾
العلق		
66	3 — 1	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... ﴾

فهرس الأحاديث والآثار
— مرتبة ترتيبا ألفبائيا —

الصفحة	طرف الحديث
131	أتدرون ما الغيبة.....
132	أتدرون من المفلس...
70	أتى النبي صلى الله عليه وسلم فتى من قريش...
69	أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة...
42	أخبرتني بقول أهل الإفك...
36	أرسل إليّ أبو بكر الصديق...
79	ألا لا يمنعن رجلا أن يقول...
118	أن أعرابيا دخل المسجد...
94	أنا زعيم بيت في ربض الجنة...
52	أن الله تعالى يجعل السموات على أصبع...
123	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق...
45	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح...
79	أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر...
65	أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم...
55	أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا...
123 — 53	أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم...
66	أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي...
119 — 97	إن لي مملوكين يكذبونني...
106	إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد...
77	إنما الأعمال بالنيات...
96	إنما نزل أول ما نزل...
128	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها...

126	إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي ...
68	إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً ...
110	إِنَّهُمْ يَعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ...
114	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ ...
87	بَعَثْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَةٍ ...
50	بَيْنَا أَنَا أَمْشِي ...
129	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...
105	جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...
43	جَاءَ رَجُلٌ حَجَّ الْبَيْتَ ...
61	جَعَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرِّجَالِ ...
53	جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ ...
58	حَضَرْنَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ ...
78	قَدِمَ عَيْنَةُ بْنُ الْحَصِينِ ...
19	قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ...
126	قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا ...
63	قَالَ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...
82	قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمِعْ ...
67	قَوْمُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا ...
57	غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدٍ ...
73	كُلُّ مِمَّا يَلِيكَ ...
90	كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ أَبِي مُوسَى ...
59	كُنْتُ أَظُنُّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ...
44	كُنْتُ أَقْرَأُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ...
38	كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عَمْرٍ مُسْتَنْدِينَ ...
49	كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

40	كنت متكئا عند عائشة ...
90	كنّا نجلس على باب أبي موسى الأشعري ...
83	لا تغضب ...
127 — 92 — 22	لعلّه نزرعه عرق ...
96	لقى الرسول صلى الله عليه وسلم نفرا من الخزرج ...
116 — 88	لما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم ...
102	لما خرجت الحرورية ...
83	لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ...
83	ليس الشديد بالصرعة ...
99	ما بال أقوام يشترطون شروطا ...
107	ما تقول في الصلاة ...
118	ما رأيت معلما قبله ولا بعده ...
94	ما ضلّ قوم بعد هدى أتاهم ...
50	مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمّا ...
108 — 37	من دخل دار أبي سفيان ...
11	من دعا رجلا بالكفر ...
37	نفر من قدر الله إلى قدر الله ...
58	نهيّا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
11	نعوذ بالله من الحور إلى الكور ...
120	هل تدري ما حق الله على عباده ...
86	ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتّق الله ...
72	يا أبا عمير ما فعل النّغير ...
73	يا أنيس أذهبت ...
71	يا رسول الله أهلك ولا تعلم إلّا خيرا ...
125 — 64	يا معشر النّساء تصدّقن ...

فهرس المصادر و المراجع

- مرتبة ترتيبا ألفبائيا -

القرآن الكريم

- أ -

- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، مكتبة و مطبعة كرباطة فوترا ، أندونيسيا.
- أخطاء في أدب المحادثة و المجالسة، محمد بن إبراهيم، دار ابن خزيمة، الرياض، 1422 هـ.
- الأدب المفرد، البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، البشائر الإسلامية، بيروت الطبعة 3، 1989م.
- أدب البحث و المناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- أدب الحوار و المناظرة، علي جريشة، دار الوفاء، مصر، 1410هـ.
- الأذكار، شرف الدين التتوي، ت- : محمد الحجار، دار البشائر.
- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، ت: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- أساليب التعامل مع الخصوم في ضوء السنة النبوية، نور الدين بن يربح، رسالة دكتوراه، إشراف: مظفر شاكر الحياي، جامعة بغداد، 1422 هـ.
- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العاني، دار الكتب و الوثائق، بغداد، 2001م.
- أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى.
- أصول التربية الإسلامية و أساليبها، عبد الرحمن التتلاوي، دار الفكر، سوريا، 1403هـ.
- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، 1415هـ.

- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.
- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن القيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، الطبعة 2، 1408هـ-.
- إغاثة اللّٰهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن القيم الجوزية، ت: محمّد عفيفي، المكتب الإسلاميّ، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، 1408هـ-.
- الإقناع الاجتماعيّ، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية، بني عكنون، 2005.
- ب -
- البداية و النّهاية، ابن كثير، اعتنى به: عبد الرّحمن اللادقي، محمّد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، الطبعة 10، 1428هـ-.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، محمّد علي الشّوكاني، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، الطبعة 1، 1418هـ-.
- ت -
- التّاج المكلّل، صديق بن حسن، البخاري القنوجي، مكتبة دار السّلام، الرّياض، الطبعة 1، 1995م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، سيّد مرتضى الزبيدي، ت: عبد المنعم إبراهيم، كريم محمود، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1427هـ-.
- تاريخ الجدل، محمّد أبو زهرة، دار الفكر العربي، 1400هـ-.
- تحفة الأحوذّي شرح سنن التّرمذي، المباركفوري، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- التّحرير و التّنوير، الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة، تونس، 1404 هـ-.
- التّربيّة الاجتماعيّة الإسلاميّة، علي عبد الحليم محمود، دار التّوزيع و النّشر الإسلاميّة، القاهرة، 1422 هـ-.

- التَّريَّة الإسلاميَّة، سعدون محمود السَّموك، هدى علي جواد الشمري، الورَّاق، عمَّان، الطَّبعة 1، 2003م.
- التَّريَّة بالحوار، عبد الرَّحمن النَّحلاوي، دار الفكر، دمشق، الطَّبعة 1، 1421هـ.
- التَّريَّة البيئية في ضوء السنَّة النَّبويَّة، رفعت محمَّد مزيد، دار العلم و الإيمان، الطَّبعة 1، 2008م.
- التَّريَّة و دورها في تشكيل السُّلوك، مصطفى الطَّحَّان، دار المعرفة، بيروت، 1427هـ.
- التَّعريفات، علي الجرجاني، ت: محمَّد عبد الحكيم القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي، دار الفكر، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة الصِّفا، القاهرة، 1425هـ.
- التفسير الكبير، فخر الدِّين الرَّازي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1421هـ.
- التفسير و المفسِّرون، محمَّد حسين الذهبي، الطَّبعة 2، 1976م.
- التمهيد لما في الموطَّأ من المعاني و المسانيد، ابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف و الشُّؤون الإسلاميَّة، المغرب، 1378هـ.
- تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المتَّان، عبد الرَّحمن ناصر السَّعدي، مؤسَّسة الرسالة، 1423هـ.
- التيسير و رفع الحرج و أثره في الدَّعوة، جمال عبد الستَّار، مجلَّة قولِّيَّة، كليَّة الدَّعوة الإسلاميَّة، القاهرة، العدد 16.
- توضيح الكافية الشافعية، عبد الرَّحمن ناصر السَّعدي، ت: شرف بن عبد المقصود، أضواء السُّلف، الرِّياض، 1420هـ.
- التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، عبد الرَّحمن المناوي، ت: محمد رضوان الدَّاية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سوريا، 1410هـ.

- ثقافة الحوار في الإسلام، محمد الكتّاني، منشورات الأوقاف الإسلامية، المغرب، 1428هـ-.

- ج -

- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة 1428هـ-.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م.

- الجدل عند الأصوليين، مسعود فلوسي، مكتبة الرشد، 1424 هـ-.

- جزء فيه فوائد حديث أبي عمير، أحمد بن أبي أحمد المطيري، اعتنى به: حسين محمد علي شكري، دار المدينة المنورة، 1424 هـ-.

- الجواهر الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، الشوكاني، دار الكتاب، بيروت، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1406هـ-.

- ح -

- الحوار، أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، دار الوطن، ط1، 1423 هـ-.

- الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنة، يحيى محمد زمزمي، دار التربية، مكة.
- الحوار التربوي في السنة النبوية ودلالاته التربوية، محمد أحمد عقلة الزبون، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية عجلون الجامعية، 2006 م.

- الحوار في السيرة النبوية، السيد علي الخضر، رابطة العالم الإسلامي.

- الحوار في السيرة النبوية، محمد إبراهيم الحمد، جامعة القصيم، 1429 هـ-.

- الحوار في القرآن، حسين فضل الله، دار المنصوري، الجزائر، دار المعرف، بيروت.

- الحوار لغة القرآن و السنة، أحمد الوقفي، دار الفكر، القاهرة، 1993م.

- د -

- درء تعارض العقل و النقل، تقيّ الدين ابن تيمية، ت: محمّد رشاد سالم، جامعة الإمام أحمد بن سعود الإسلامية، 1401هـ-.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ضبطه و صحّحه: عبد الوارث محمّد علي، دار الكتب، بيروت، الطبعة 1، 1418هـ-.

- دلائل النبوة، البيهقي، ت: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، 1408 هـ-.

- ذ -

- ذكر أسماء التابعين و من بعدهم، علي الدارقطني، مؤسّسة الرسالة العلميّة، بيروت، الطّبعة 1، 1411 هـ-.

- ر -

- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، بيروت، الطّبعة 1، 1420هـ-.

- الردّ على المخالف من أصول الإسلام ومراتب الجهاد، بكر أبو زيد، دار العاصمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1414هـ-.

- رفع الأصّر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني، ت: علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة 1، 1418هـ-.

- الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النبويّة لابن هشام، أبو القاسم الخثعمي، دار الفكر، بيروت، 1972م.

- س -

- السّلسلة الصّحيحة، محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1416 هـ- 1996م.

- سنن أبي داود، أبو داود، ت: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، ت: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

- سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض، أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة 2، 1395هـ-.
- سنن الدارمي، عبد الله أبو أحمد الدارمي، ت: فؤاد أحمد زمري، خالد السبع العلمي، الطبعة 1، 1407هـ-.
- السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، الطبعة 3، 1424 هـ-.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، الرسالة.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة 1، 2006م.

- ش -

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن مخلوف، دار الفكر.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح سنن ابن ماجه، السيوطي وآخرون، قديمي كتب خاتنة، كراتشي.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر، الرياض، 1423هـ-.
- شرح المسند للإمام أحمد، أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1، 1995م.

- ص -

- صحيح البخاري، البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة 3، 1407هـ-.
- صحيح سنن أبي داود، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1419هـ-.
- صحيح سنن ابن ماجه، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1417هـ-.
- صحيح سنن الترمذي، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1420هـ-.

- صحيح مسلم، مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، ت: محمد بن عبد الحكيم، مكتبة صفا، القاهرة، 1424هـ-.
- الصّواعق المرسلة على الجمعيّة المعطلّة، ابن القيم الجوزية، ت: علي الدخيل، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ، الجزيرة، 1412هـ-.
- الصّورة والإقناع، محمود شمال حسين، دار الآفاق العربية، الطبعة 1، 2006م.
- ض -
- الضّوء المنير على التّفسير، علي الحمد الصالح، مؤسّسة التّور، مكتبة دارالإسلام.
- ضوابط الحوار في الدّعوة الإسلاميّة، فرحات محبوب، رسالة ماجستير، إشراف: عمر لعويّرة، 1420هـ-.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرّحمن حبّكة الميداني، دار القلم، 1426هـ-.
- ط -
- طبقات الشّافعيّة، عبد الرّحمن الأسنوي، ت: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، الطّبعة 1، 1418هـ-.
- ع -
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدّين العيني، إدارة الطباعة المنيريّة.
- غ -
- غريب الحديث، ابن الجوزي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة 1، 1985م.
- غريب الحديث، ابن قتيبة، ت: عبد الله الجبّوري، مطبعة العاني، بغداد، الطّبعة 1، 1397هـ-.

- غريب الحديث، محمود الزمخشري، ت: علي محمد البخاري، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة 2.

- ف -

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الرحمن البراك، اعتنى به: أبو قتيبة الغرياني، دارطبية، الرياض، 1426هـ.

- فقه الحوار في ضوء السنة النبوية، أحمد عبده عوض، ألفا، مصر، الطبعة 1، 1429هـ.

- فقه الحوار، فيصل الحاشري، دار الإيمان، مصر.

- فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، عبد الله الموصلي، الدار الأثرية، عمان، 1428هـ.

- فقه الدعوة في صحيح البخاري، علي بن سعيد القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، 1421هـ.

- فقه السيرة، محمد الغزالي، خرّج أحاديث الكتاب : ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، ط 6، 1995 م.

- فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، عبد الجواد بكر، ت: عبد الغني عبود، دار الفكر العربي.

- في فقه الحوار، سعد الدين العثماني، منشورات الفرقان، ط 1، 1993.

- فقه الدعوة، حبكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1996.

- ق -

- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت.

- القيم الإسلامية والتربية، علي أبو العينين، مكتبة إبراهيم الحلي، المدينة المنورة، الطبعة 1، 1408هـ.

- ك -

- الكافية في الجدل، الجويني، ت: فوفية حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1399هـ.

- الكشف عن حقائق وغوامض التّزليل، الزّمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

- كيف تحاور، طارق بن علي الحبيب، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلام، الرياض، ط14، 1426هـ-.

- ل -

- لسان العرب، ابن منظور، ت: عامر حيدر، راجعه، عبد المنعم خليل إبراهيم.

- م -

- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، 1426هـ-.
- مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور، ت: وفاء تقي الدين، الطبعة 1، 1410هـ-.
- محمد صلى الله عليه وسلم إنسان كامل، الحسيني، دار الشروق، جدة، ط4، 1987.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الهند، 1404هـ-.
- الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ-.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، دار الأفكار الدولية، الرياض، 1419هـ-.
- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، جماعة من العلماء، إشراف صفى الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1421هـ-.
- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن شيبه، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة 1، 1409هـ-.
- مضامين الحوار في القرآن الكريم، عبد الله حجيرة، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2003.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 1، 1411هـ-.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، قدم له، حسن خالد، مؤسسة نويهض، الطبعة 1، 1403هـ-.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، ضبطه: محمد عتاني، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ-.

- مفهوم الحكمة في الدّعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوطن، الطّبعة 1، 1414هـ-.
- مقالات في السّياسة الشّرعيّة، ترجمة وتحرير : فهد الحمّودي، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، بيروت، ط 1، 2014.
- مقوّمات الدّاعيّة النّاجح، علي بادحدح، مؤسّسة الرّسالة، الرياض.
- الموافقات، أبو إسحاق الشّاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور، دار بن عفّان، 1417هـ-.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، ت: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي.

- ن -

- نظرية التّربية في القرآن وتطبيقاته في عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أمينة أحمد حسين، دار المعارف، القاهرة، الطّبعة 1، 1985م.
- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدّين البقاعي، خرّج أحاديثه : عبد الرزّاق المهدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1425هـ-.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط 1، 1421هـ-.

- و -

- الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء ابن عقيل، ت: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت.
- وقفات تربويّة في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز الجليل، دار طيبة، الرّياض، 1418هـ-.

مصادر الإنترنت :

- الموسوعة الحرّة : ويكيبيديا.
- فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السّلف، عبد الرحمن المدخلي، موقع صيد الفوائد.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة..... أ	
الفصل التمهيدى	
المبحث الأول: مفهوم الحوار.....	11
المبحث الثاني: أنواع الحوار.....	17
المبحث الثالث: القيمة الحوارية للحوار في القرآن الكريم	22
الفصل الأول : مظاهر الحوار في السنّة النبويّة	
المبحث الأول : الحوار مع المسلم المخالف.....	35
المطلب الأول : الحوار بين العلماء	36
المطلب الثاني : الحوار في مجال التّعلّم	38
المطلب الثالث : الحوار مع العوام	41
المطلب الرابع: الحوار في الفتن والتّوازل	42
المطلب الخامس : الحوار في باب السياسة الشرعيّة	44
المبحث الثاني : الحوار مع المسلم غير المخالف	48
المطلب الأول : الحوار مع اليهود	48
المطلب الثاني : الحوار مع النّصارى	53
المطلب الثالث : الحوار مع المنافقين	55
المطلب الرابع : الحوار مع المشركين	57
المبحث الثالث الحوار مع المسلم غير المخالف	63
المطلب الأول : الحوار مع النساء عموما	63
المطلب الثاني : الحوار مع أمّهات المؤمنين	66
المطلب الثالث : الحوار مع الشّباب	69
المطلب الرابع : الحوار التّبوي مع الأطفال	72

الفصل الثاني : آداب وضوابط الحوار في السنة النبوية

- 77 المبحث الأول : الآداب النفسية للحوار
- 77 المطلب الأول : التجرد في طلب الحق
- 81 المطلب الثاني : مراقبة النفس أثناء الحوار
- 86 المطلب الثالث : عدم اتهام النيات
- 92 المبحث الثاني : الآداب العلمية للحوار
- 92 المطلب الأول : الحذر من الجدال
- 95 المطلب الثاني : البدء بالأهم في عرض الموضوعات
- 99 المطلب الثالث : الالتزام بالموضوعية أثناء الحوار
- 104 المبحث الثالث : آداب متعلقة بحدود الحوار
- 104 المطلب الأول : ملائمة المكان
- 105 المطلب الثاني : ملائمة الزمان
- 106 المطلب الثالث : ملائمة الموضوع وطريقة طرحه

الفصل الثالث : الأثر التربوي للحوار في ضوء السنة النبوية

- 114 المبحث الأول : الآثار الوجدانية والعاطفية
- 114 المطلب الأول : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
- 115 المطلب الثاني : كسب القلوب وتغليب الروح الإنسانية على العاطفية
- 118 المطلب الثالث : نشر الحبة بين الناس
- 119 المطلب الرابع : إشاعة الأمن والراحة والطمأنينة
- 122 المبحث الثاني : الحوار في الإقناع وتصويب الخطأ
- 123 المطلب الأول : الدخول في الإسلام
- 124 المطلب الثاني : التقليل من شأن الدنيا
- 124 المطلب الثالث : تهذيب الأخلاق والرجوع عن المعصية
- 125 المطلب الرابع : التجاوب والعطاء
- 126 المطلب الخامس : تصويب الخطأ
- 128 المبحث الثالث : الآثار المعرفية التوضيحية

المطلب الأول : ترسيخ العلم والإيمان	128
المطلب الثاني : كشف الحقائق عن كثير من المسائل	129
المطلب الثالث : ترسيخ المعاني الربانية في النفوس	131
الخاتمة	135
ملخص البحث بالعربية	137
ملخص البحث بالإنجليزية	139
ملخص البحث بالفرنسية	140
فهرس الآيات القرآنية	142
فهرس الأحاديث والآثار	150
فهرس المصادر والمراجع	153
فهرس الموضوعات	163